روايات عبير

آن هامبسون

أريد سجنك!

www.liilas.com

روايات عبير

HARLEQUIN — ABIR — No. 116

أريد سجنك!

هناك عواطف غامضة كالهيام لا يمكن سبر أغوارها بسهولة... تتخذ أشكالاً غير متوقعة مليئة بالمفاجآت وقد تغير وجهة الحياة في غمضة عين.

ليون بتريديس، الرجل ذو السطوة الرهيبة... عندما رأى تارا الحسناء، كان له حلم واحد: ان يأخذها الى جزيرته الفردوسية في اليونان بأي ثمن... ولو أصبحت سجينة بالاكراه. انها المرأة التي خلقت له وحده، وحده دون سواه. أعماه جمالها عن كل شيء، حتى المجازفة بحياته، والسؤال الذي يتبادر الى الذهن هو:

... ألم يكن لتارا رأي في تقرير مصيرها؟ لماذا لم تحاول الهرب؟

العاشق البربري

بدا الارتياح على وجه تارا بنيت وهي تصغي الى الصوت على الطرف الآخر من الخط. لم يتخلف خطيبها مرة واحدة عن الاتصال بها كل يوم في مثل هذا الوقت، ليذكّرها مازحاً انها له وحده والويل لها اذا سمحت لأحد مرضاها ان يغازلها وصاحا ديفيد:

ـ كيف حال جراحك في المستشفى؟

ـ اتانا مريضان آخران في ساعة متأخرة من الليلة الماضية. كانا ضحيتي حادث سيارة، ولم أرهما الا عندما اتيت الى عملي هذا الصباح. احدهما يوناني وهو متغطرس! لم أكلّمه حتى الآن ولم ألق عليه حتى نظرة. ولكن سو غاضبة عليه لمعاملته لها. وتقول ان من يراه قد يعتقد انه سيد الاسياد.

ضحكت تارا على الخط وهي تستعيد كلام سو وشكلها وهي ثائرة.

- كيف هو؟ صفه لي.
- تقول سو انه جميل الطلعة ويتمتع انه في الثانية والثلاثين، ولكنه يرفض ان يتكلم عن عمره.

ضحكت تارا مرة اخرى عندما اطلعت خطيبها على ما قاله اليوناني لسو عندما سألته عن عمره. فقد نظر اليها بكبرياء وصرخ في وجهها:

- ما لك ولعمري. قومي بعملك وكفي عن توجيه اسئلة تافهة.

علّق ديفد على ذلك بقوله:

- لا يدل هذا على ان في الرجل شيئاً غير عادي.

- كلا، ولكن الطبيب المناوب يصر على اجراء فحوص أشعة عليه. لأن الحادث كان مهيباً وكان اليوناني ضربته سيارة كانت تسير في الجهة المعاكسة فقذفت به على الرصيف. كله رضوض وفي رأسه جرح بليغ.

غيّر ديفد موضوع الحديث وقال:

- نسيت ان اخبرك ياحبيبتي انا مدعوان الى مطعم ماري يوم الجمعة. جون هنا في عطلة.

- مدعوان! اذن سيحضر جولة زفافنا.

- هذا ما اعتقده. مضى عليه سنتان في الخارج واظن ان مدة عطلته ستكون طويلة. يقي لنا تسعة أيام قبل ان نتحد. يكاد صبري ينفد.

اكتفت بأحاسيسها السعيدة ولم تتكلم. واتجه كلاهما يفكر في فترة الصمت هذه الى صديقها الذي تأمل تارا ان يكون ودوداً مثلما يشبهه.

وشرعت تفكر لصدفة وجود احبه يوم زفافها. خاصة انها بدون اقارب على الاطلاق من خطيبها الذي له والدان وصديقان مقربان بالاضافة الى اخيه.

قالت تارا:

- يجب ان اتركك لأني سأحلّ على التي انتهت من عملها الآن.

قال ديفد مازحاً:

- احذري هذا اليوناني الذي، فان اليونانيين معروفون بأنهم يطاردون النساء.

- لكنه ليس من هذا النوع. وسو هنا الآن تعتني وتشير باصبعها الى غرفة اليوناني.

- من الصعب اعاقة سو، اليس كذلك؟

- ان سو من اعداً الناس... وهذا هو الذي، المطلوب في مهنة التمريض.

وداعاً ياحبيبي. سألقاني هذا المساء.

نظرت تارا الى سو وقالت هذه الاخيرة:

- انه حيوان وقح!

دهشت تارا هذه العبارة لأن سو لا تلفظ بعبارات بذيئة تسيء الى مرضاها مهما كانت مضايقاتهم لها.

- ارجو الا يضايقني يا سو.

- انه مصر على الخروج لكن الدكتور جيمسون شدد على ان يبقيه تحت المراقبة مدة من الزمن.

- ليس في استطاعتنا اجباره على البقاء اذا هو اراد الخروج، والدكتور جيمسون يعرف ذلك كما نعرفه نحن ايضاً.

- يبدو ان الدكتور جيمسون غير مقتنع بأن الانسان لا يصيبه الذي داخل في حوادث كهذه.

لم تقل تارا شيئاً. وبعد بضع دقائق دخلت الغرفة الخاصة حيث اليوناني عاملة صينية فهوة وبعض البسكويت. وكانت قد توقفت قليلاً قبل دخولها وربما يهدأ بعض المشارع.

كان اليوناني واقفاً امام النافذة ينظر الى الخارج. كان طويل القامة، عريض المنكبين نحيل الخصر. وله جسم الرياضيين. دار على عقبه وذكرتها تقاطيع وجهه الجانبية بتلك التماثيل اليونانية التي شاهدتها في المتحف. لاحظت بروز ذقنه وخطّ فكه الناعم واتفه المخروط...

وقف امامها الآن وجهاً لوجه... ولم تدر تارا لونه العينين. ربما كانت عيناه، وهما سوداوان فيهما لمعان البلور الاسود، ترمقانها دون ان ترمُشا! ثم اتسعت فتحتها وبدا لها انهما تخلدان الى صمتهما. لم يتحرك اليوناني. وكان يخيل لمن يشاهده انه تحت تأثير التنويم المغناطيسي... كما لو كان ينظر الى اشياء موجودة في غير هذا العالم.

- الى... فهوتك.

ثلاثت تارا ولكنها لم تتحرك من مكانها. كانت ساقاها ضعيفتين وذهنها مرتبكاً. وشيء فيها يحس بأن تياراً كهربائياً يدور في حلقات غير الغرفة ثم بينها وبين الرجل الواقف امامها. لم يظهر اي دليل في وجهه على تأثر معين

او انسانة. واستطاعت ان تلاحظ ولكن بصورة غير واضحة لون جلده الكثير السمرة، وعظم وجنتيه البارزين الخاصين بالجنس اليوناني، وشعره الأسود الكثيف المنسدل الى الوراء. تذكرت ان سو قالت انه جميل الطلعة. ولكنها لم تره كذلك. بل ان ملامحه تدل على خطورة وعلى انه قاسٍ ومترفع.

لم تر نارا في حياتها وجهاً يؤثر هذا التأثير في الناظر اليه. كلا، انه ليس جميلاً في نظرها هي على الأقل. وبالمقارنة معه... ديفد ليس بهذا الطول. ولكن تقاطيعه ناعمة ولطيفة وعينيه صريحتان، وفمه عذب، والتجعيدين فيهما حنان، بعكس فم هذا الرجل ذي الشفتين الرقيقتين اللتين تدلان على قسوة. وبالرغم من ذلك فيها شيء يبعث الدغدغة في ظهر نارا. تكره نارا ان تجد نفسها وحيدة معه.

تابع الرجل نظره فيها مدققاً في جمال تقاطيعها الخارق وانفها الصغير، في شفتيها المغريتين الحسيتين الداعي الانفراج. ولاحظ الدهشة او شيئاً من الخوف في عينيها الزرقاوين. وشعرت هي بهذا الخوف ولكنها لم تفهم مصدره. وكانت جفونها ترف واستطاعت بذلك اخفاء رعة القلق في عينيها. ولكنها لم تستطع ان تخفي احمرار وجهها. وغضبت من نفسها لأنها لم تجد في نفسها القوة على الكلام او حتى السير نحو الطاولة لتضع القهوة عليها.

واخيراً تكلم اليوناني. ولم تكد نارا تستبشر بزوال الصمت حتى تولاها احساس جديد بالخوف او الخطر عندما سمعت رنة صوته الغريبة ولكن الجميلة التي كان يشوبها قليل من النكهة الاجنبية.

ـ يبارك سعيد. انت عرضة للهلاك على ما اظن... ما اسمك؟

بلعت ريقها بشكل خاطر. واحدث الافكار تدور في رأسها مثل دوامة. لماذا أربكها صوت الرجل؟ لم يقل غير بضع كلمات ولكنها رأت معاني كثيرة في تلك الكلمات البسيطة. سمعت نفسها تتمتم اسمها واحست بالدم يصعد الى وجهها. وان الى اذنيها صوت الرجل وهو يعيد اسمها بنغمة ناعمة ولطيفة.

قال اليوناني عالماً بارتباكها:

ـ نارا... لا، ليس هناك، بل على هذه الطاولة الصغيرة هنا.

ليست في مكانها لأن الطاولة الصغيرة كانت قريبة منه كثيراً.

ـ انا دائماً افعلهما هنا.

اتجهت نحو الطاولة. ودهشت لأنه لم يوقفها نظراً لسعوده التي لم تتضع هنا دون ارادة او انه أعاد طلبه لتضع القهوة حيث يريد.

وبعد ان وضعت القهوة على الطاولة سمعت صوته يوجه اليها امراً قاطعاً ومزعجاً.

ـ تعالي الى هنا!

جفلت فيه ولمست ضعفها امامه. اين مواقفها الجريئة مع مرضاها؟ وماذا حلّ بصوتها الثابت وبنبراته الخاصة التي تجعلهم يطيعونها؟

ـ يجب ان... ان اذهب.

ولكنها لم تتم عبارتها عندما اشار اليها بيده. ورأت عينيه تصف مفتوحتين وفيهما نظرة رهبة.

ـ تعالي هنا يا نارا.

كان صوته ناعماً ولكن فيه نبرة جعلتها تنظر حولها وتتجه نحو الباب بضع خطوات. ماذا لو تحدرها سو من ذلك؟

ـ قلت تعالي هنا.

ظل صوته ناعماً. ولكنها لم تدر ماذا اعتملت للقرب منه وتطيع امره كأنها دمية آلية. غير انها توقفت فجأة كأنما لتقاوم هذه المغناطيسية الخفية التي كانت تشدها اليه.

ـ قلت انه يجب ان اذهب يا مستر بريدس. واظن ان الطبيب سيرالد بعد ساعة تقريباً.

فهمت نارا من سو ان الرجل يجتمع كل مرة ويؤكد رغبته في ترك المستشفى. الا انه ادعشها عندما اوماً برأسه موافقاً.

ـ سأعود لأخذ الصينية في خلال نصف ساعة.

ـ اظن اني طلبت اليك ان تأتي الى هنا.

استدارت نارا والغضب في عينيها وقالت:

ـ لا اعرف سبب صداقاتك في باستر بريدس، وطلبك هذا يدهشني كثيراً. فالمرضى لا يحظون الاوامر للممرضات.

وهنا أيضا توقفت عن الكلام عندما تقدم نحوها بخفة القط البري.

* * *

- لا تكن سخيفة!

واقتنت من قبضته.

- انك شيطان خبيث! سأشكوك!

كانت غاضبة ومرتبكة معاً لأن ما عنه اليوناني عندما قال انها استسلمت كان صحيحاً. ولو ان استسلامها لم يكن طوعاً بل ضعفاً، ولكن ما الفرق بالنسبة له؟ وشعرت بالعار والاشمئزاز من نفسها. وفكرت في دينه الذي عانقه دون ارادتها. وفكرت في سو وسيادات ثانا! لم يعرض عليها هذا اليوناني عواطفه غير المحدودة.

قال الرجل وهو يأمل في صدرها الذي كان يخفق بسرعة:

- لا اصدق انك ستعرضين شكواك من هذا الشهد الشديد يا ثارا. انت استمتعت به كما استمتعت انا. لا تكذبي ذلك. تكفين عن المقاومة اذا كان العناق يروق لك. انك لم تخافي.

- أرأيتك في جزائك الجزائية متكبرة يا هذا؟

لقد تلفظت بهذه العبارة او تكلمت بهذه الطريقة لا تدري. هي تدري فقط انها تغلي من الغضب ولو استطاعت لبسطت له في الذي. نظرت الى الربطة التي تعصب الجرح في جبينه وتساءلت اذا كان هذا الجرح أثر في دماغه. لكنها ابعدت هذا الاحتمال اذ ان عقل الرجل سليم كعقلها. هذا الرجل يستغل كل دقيقة ليستمتع بلذات الحياة ويقبض جبروته الداخلية يستحوذ عليه، كان الله في عون زوجته اذا كانت له زوجة... فهي ستكون عبدته ليس عقلياً فقط بل جسدياً.

- اكتشفت ان النساء يجدن متعة في... في اغتصابي فمن. وانا اكيد من انك وجدت متعة انت الاخرى.

- انك تتكلم كشخص مجنون! اما بصدد تقديم شكوى ضدك فسأفعل ذلك حالا! اخرج من هنا!

قالت ذلك وجرت نحو الباب دون اعتبار لكرامتها كسيدة وفتحته وخرجت.

كريه، كريه! من المؤسف ان اغتصبت لم يقض عليه كلياً. ولكي لا تعود اليه لتأخذ الصينية، تدبرت في ايجاد عرضة اخرى غيرها لتتوب عنها، ولكنها حذرتها من هذا الذئب المفترس.

- لقد ارتعبت، هيه؟ هذه هي مفاجآت غرف الذكور. ولكن اذا تجرأ وحاول ان يتخطى الحدود سيذوق صفعة لن ينساها هذا المتزلزل!

بالطبع لم تطق ثارا صبرا لمعرفة ما يكون حصل بينها وبين اليوناني عندما ذهبت لتأخذ الصينية.

سألتها وهي ترى هدوء الفتاة:

- كيف كان؟

- لم يتفوه ولا بكلمة واحدة. كان هادئاً وبعيداً. تطلع الي وتناول كتاباً.

قطبت ثارا ما بين حاجبيها ثم قالت:

- غريب جداً... لم يتمايل على مو ايضاً.

- ربما وقع في حبك من النظرة الاولى.

قالت المرضة ذلك وخرجت تاركة ثارا في حالة ذهول...

وسألت نفسها لماذا عدلت عن تقديم الشكوى ضد هذا اليوناني المجرم. التقت بعد ذلك النساء وذهبن لتناول العشاء في مطعم ورويال اوك.

وكانت ثارا وهي جالسة قبالة دينه تقارن بين وجهه السمح ووجه اليوناني. وعست لأن وجه هذا المجنون يغزو افكارها، ولكن دينه لم يلحظ هذا العبوس في ضوء الشموع التي كانت تزين مائدتها الا بعد ان رأى شرودها:

- هل كان يومك شاقاً في المستشفى؟ الفظ تعيسين؟

اومأت برأسها، ثم سألها ثانية:

- كيف كان اليوناني الذي تكلمت عنه؟ أمل الا يكون قد تكلم معك بوقاحة كما تكلم مع سو.

بلعت ثارا ريقها بصعوبة وهي تتساءل كيف يكون رد فعله اذا قصت عليه حادثة الصباح، ولكنها كانت خجلة متضايقة من نفسها لاقتناعها بأنها لم

تخلص للشخص الذي أحبه. ربما كان يجب عليها ان تقاوم بقوة اكثر وان تطيل مدة مقاومتها. ربما كان يوسعها ان تنبه من محاولتها بالفرار. وبان لها ضعفها في استسلامها بتلك السهولة. نعم، كان عليها ان تقاوم، ولا فرار اذا هي شعرت بالذنب. ذكرها ديفد بأنها لم تجبه على سؤاله بعد. نظرت اليه وأملت الا يكتشف ضوء الشموع من تعابير وجهها.

ـ كان مزعجاً بعض الشيء.

كانت تعرف ان هذا الوصف أبعد ما يكون عن الحقيقة، ثم اضافت قائلة:

ـ انه مريض ومسيء الخلق. كلمتك عن هذا النمط من قبل.

ـ من المؤكد ان مسلكهم يؤثر على الأعصاب. هل ما زال في المستشفى؟

ـ رحل بعد الغداء

سألها مقطباً:

ـ هل وداعك؟

ـ كلا. لم افكر فيه مطلقاً

لم تذكر لديفد انها سمعت جهدها كي لا تكون في طريقه ساعة رحيله.

ـ تخلصتم منه اذن؟ العاملون باحسنوي، سأسعد كثيراً اذا تركت عملك بعد زواجنا.

ـ نعم، ولكن بعد زواجنا بفترة قصيرة. اصبر قليلاً يا ديفد لان علينا تأثيث بيتنا وأقتناء الأشياء الأخرى قبل مولودنا الأول.

قال مبتسماً

ـ هذه فكرة حسنة، ونحن متفقان على ان الأم تلزم بيتها لأجل اولادها.

في صباح اليوم التالي ان الثواب باقة فاخرة من الورد وقدمها لنارا مهنئا إياها على حظها السعيد.

ـ انها جميلة حقاً، ولكنها ليست لي، وربما ارتكبت خطأ بتقديمها لي.

فكرت ان الباقة أرسلها احدهم الى مريض عزيز عليه، وطلبت ان تقرأ البطاقة. وتناولت الباقة التي كانت مكونة من حوالي ثلاثين وردة يربطها شريط فضي.

نظر الثواب الى نارا مبتسماً وقال وهو يرمقها باهتمام جديد.

ـ انها لك. أرسلها معجب اسمه ليونيدس

ليونيدس... توترت اعصابها. انه الثواني! يا إلهي! احمرت من الغضب وكادت تمزق البطاقة لولا وجود الثواب الذي كان ينتظر رد فعلها.

قالت وهي تحاول ان تبدو طبيعية:

ـ شكراً يا بيل، هذا من مريض يريد ان يعبّر عن شكره، ولكن لا يجب ان ينشروا ماقعم بهذه الطريقة. رغم ان نيتهم حسنة.

قال بيل بتفور:

ـ طبعاً، لكنها تساوي ثروة.

ورغم عنفوان الدم في جسمها لم تحرق نارا على رمي الباقة في القاذورات. أخرجها عالقاً فأراحت ان تعني بها وتزيلها في وعاء كبير. وزادت من روعتها عندما ألصقت أوراقاً خضراء من حديقة المستشفى ورتبتها حول الورود.

كان الخميج يريدون معرفة اسم من ارسلها ولن ارسلها.

لم ترد نارا ان تكذب. ولكنها أيضاً لم تكن تنوي ان تكشف عن مرسلها الثواني الذي سمع عنه كل نزلاء المستشفى منذ ان اذاعت سو اخباره على الملأ، فقالت ان الثواب أن بها وان البطاقة ضاعت. وبالفعل رمتها نارا في صندوق الزبالة.

قبل ان مر بعد انها مطلوبة على الهاتف وكان المتكلم ليونيدس بنفسه. سألها اذا أحبت الورود.

فأجابت السماعة الى مكانها فوراً، ولكنها بدأت تتنفس. ماذا يجب ان تعمل؟ ترددت في السابق بين ان تطلع خطيبها او لا تطلعه على الأمر. ولكنها حسبت حساباً للفاجع، وكان هذا خطأ منها لان خطيبها أول من تلجأ اليه في الصعوبات لو كانت احتاجت الى مساعدة لوجيهة. لذا قررت ان تتجاهل الثواني لانه سيرعان ما سيمل من هذه السخافات. ولكن بينما كانت تترك شقتها ذلك المساء في مبنى للمرضات الجديد وهي في طريقها الى عطة السيارات رأت نفسها وجهاً لوجه معه.

صرخت في وجهه قبل ان يتكلم

ـ اذهب عني! واذا دابعت مضايقتي فساطلب الحماية من الشرطة!

قال مشيراً الى سيارة بجانب الرصيف:

ـ انسي هذا. ادخلي وستكلم بهدوء، ولن يكون جوابك رفضاً يا نارا.

ولا حاولت ان تقاطعه فتابع:

- يجب ان نتكلم، أتفهمين؟ تلاقينا في الحياة وليس من السهل ان يختفي احدنا عن الآخر. لذا، ارجوك، ادعني السيارة و...

- هل تفترض انني ذلك النوع من الخطر؟

ولما حاولت ان تبتعد عنه اعترض طريقها وأوقفها. دارت بنظرها حولها لعل احدى الممرضات تراها من احدى النوافذ الكثيرة في المبنى.

- ما الذي يجعلك تعتقد اننا يجب ان نتباحث؟ هذا شيء لا اتصوره. ارجوك، دعني اذهب. يجب ان استقل السيارة!

- اين وجهتك؟

كان صوته خافتاً ولكن فيه وقاحة.

- انا أوصلك.

قالت حانقة:

- حطيبي ينتظرني، لذا فابعد من طريقي!

- خطيبك؟

نظر الى وجهها الجميل الذي زادت من جماله هالة من الشعر الذهبي، بشرة مثيرة ذات اطراف منمنمة كأنها ترفض ان تكون ملساء مثل باقي شعرها. وكانت خصلة تتوج جبينها العريض الذكي وتتموج الى ان تصل صدغيها.

- خطيبك... ؟ انت فعلوية وستتزوجين؟

كان صوته اجوف وشرها هذا التغير المفاجيء فيه.

- نعم.

اجابته بكلمة واحدة فقط وشعرت كأنها ضربت انساناً في صميمه وأكله.

- والآن ياسيد بترويس، ارجوك ان تدعني أمر. هات سيارة الياس قد تأتي في اية لحظة... ها هي قد اتت، يجب ان اذهب.

- كلا!

كان صوته أمراً ووجهه قاسياً كوجه وثني. واضاف:

- سأوصلك انا بنفسي.

حاولت الاعلان منه ولكنه بقي في مكانه يسد عليها الطريق. ونظرت الى الياس وقد مر عنها، فقالت بثقة:

- أرأيت؟ ها قد ذهب. سيطمئن على ح... خطيبي. اوه، لماذا تصطهدني

هكذا؟

- الم تحذري؟

- لحذر؟

هزت رأسها وهي اعجز من ان تفكر في اي شيء سوى دجد الذي ينتظرها عند موقف الياص. وانبعثت صيحة:

- احذر مافا؟

- انسي ما قلته. ادخلي السيارة الآن وسأقودك الى خطيبك.

اقتنعت اخيراً بصدق كلامه. ودخلت السيارة.

- حسناً سأدخل.

لم تطق لمسة يده وهو يحاول مساعدتها في دخول السيارة، حيث جلست جامدة كتوبلس قبراً وتشك في انه سيوصلها الى خطيبها. فاذا وقفت فيه؟ الم تحذر معاملته لها؟

- اريد ان اتكلم معك يا فارا. هل انت مقتنعة حقاً للقاء خطيبك هذا؟

- انه ينتظرني عند موقف الياصات.

- اذن لدينا بعض الوقت لأخق بالياص.

قال ذلك واندفع بسيارته فاختفى شارعا تربه الشجار على جانبه. كان الوقت غسقا في اول ايام شهر نيسان (ابريل). وبدأت ترتجف ولكنها لم تصرخ اذ انها لم تر فائدة ترجى من احتجاجاتها. ونوقف ليونيدس بترويس على بقعة عشراء بجانب الطريق. تمهل قليلاً، ثم نظر اليها وقال:

- انك ان تتزوجي خطيبك الذي تتوقعين ان تلتقي به. خطيبك ليس من جنسك.

- ماذا تقول؟ انت لا تعرف خطيبي. ولي اعتقادي انك معتوه. آه، كان يجب ان اطلب عناية الشرطة منذ البداية.

تطلع فيها بدهشة بريئة وسألها:

- ماذا فعلت؟

- خاطبتني بالقوة وأرسلت لي زهوراً واتصلت بي هاتفياً! والآن اجبرتني على دخول سيارتك... جف صوتها وهي تلفظ العبارة الأخيرة عندما رأته يتبسم.

- هل تفترضين ان اشياء مثل هذه ستقنع الشرطة لتقوم بحمايتك؟ انا لم

اجبرك على دخول السيارة يا نارا. انت دخلتها باختيارك، وسألني بوعدي وأعطاك الى حظيك ولكن بعد ان تحدثت. إلا انا لن اصل الى نتيجة اذا بقيت متمسكة بادعاءاتك ضدي. اذا اتضحت اذا كنت فعلاً تريدين ملاقاة حظيك ان تكوني اكثر تفهماً وربما تناقش افتراحي.

- اقتراح يا سيد بريدس؟

- ليونيدس... كيا هو مكتوب على البطاقة التي كانت مع باقة الورد. واصدقائي يناديوني باسم ليون فقط.

كانت جلست جانبه ولذا كان أسهل عليه ان ينظر اليها مباشرة.

- يا اني لست صديقة لك ولن اكون، فسأناديك سيد بريدس واكون عند اذا نادتني بالآنسة بيت. واقتراحك هذا، اذا رأيت من الضروري ان اعرضه عليّ، فارجوك ان تسرع بعرضه وبأحذي بعدها الى حظيي.

ورغم انها تكلم بهدوء كان قلبها يخفق بسرعة. رأت نفسها في عالم كله ظلام حيث تنتظر المجهول ' وبالفعل تزل وتكلم: طلب البريطاني منها ان يتزوجها.

عندما تذكرت هذا فيما بعد وهي صافية الذهن اقشعر بدنها ذلك العباب الذي كان يلفها وهي في السيارة. عندما تقدم جذب يدها وهي تنظر الى ميهولة سألت نفسها لماذا لم تقفز من السيارة وتهرب.

شعرت في حينه كأنها فريسة لأكبره ذي القوة المغناطيسية التي ستربها في مكانها وأرغمتها على سماع حديثه.

أكد لها انه يستعدها بحياة هنيئة في قبلا ايضاً وزوقاء على جزيرة هيدرا في اليونان. وانه سيكون لها خدم ومصروف جيب يزيد عن حاجتها. ولم تحاول مطلقاً ان تقاطع كلامه الذي كان ينساب من فمه بسهولة مدهشة وكان أشبه بقصص الخيال. انها تحلم وبالتي. هذا لا يحدث في الحياة الحقيقية.

انهى كلامه وانتظر ردّها عليه ولكنها بقيت صامتة.

- لم تقولي شيئاً بعد يا نارا.

نظرت اليه وتأملت وجهه فرأت دلائل العزم في كل تقاطيعه وشعرت بقوة عينه التي تؤثر في الناس وترغمهم على الخضوع لرغباته. تكلمت بسرعة لتظهر له انها لم تقع تحت سحره:

- اني سأتزوج من ريفد خلال ثمانية ايام يا سيد بريدس.

- ثمانية ايام!

تفرس فيها بعينيه السوداوين. ودفعتها غريزيتها الى وضع يدها على صدرها دفاعاً عن النفس. من المؤكد ان هذا الرجل يريدها الى درجة انه عرض عليها الزواج مستثنياً اياها من بين كل النساء اللواتي يعرفهن.

والوصول الى مراده قد يفعل اي شيء. وراودها الشك في انه سيتقبل خطبتها. ورسخ شكها في ذهنها عندما قال:

- لن تتزوجي من احد غيري في ثمانية ايام.

استاول عليها خوف غامر مدّها بالشجاعة الكافية لتقفز من السيارة وتركض بسرعة دون توقف الى ان وصلت الطريق العام. خلي بها ولكن في الوقت الذي استغرقه ليخيّر اتجاه السيارة ويصل الى الطريق العام كانت نارا قد اختفت خلف حرش محور حيث قبعت بين الاشجار وانتظرت الى ان رأته يتجه بسيارته على طريق الباص.

٢ ـ عروس في المرآة

وقفت نارا وهي لابسة فستان العرس الأبيض مع سو التي ستكون لها وصيفة الشرف واخذت هذه الاخيرة الفستان فوجدته في منتهى الكمال.

ـ كم جميلة انت في هذا الفستان! لم أرك أجمل من اليوم يا نارا!

تورد وجنا نارا لهذا الاطراء وشعرت بسعادة لا توصف. اليوم ستكون العروس الشخص الذي بهما وينتظرها ليعلن انه لها وأنها ستكون زوجته الى الابد. كانت واقفة امام المرآة وتنهدت:

ـ اوه، اليوم انا اسعد من يكون! بعد ساعة ونصف سأصبح السيدة ديفد روثويل

وفجأة جمدت في مكانها. ولم تعد ترى لوراي شيئاً غير وجه اسمر اللون لشخص يقف امامها... واحد اسمه يعني في اذنيها... وليون

بتريدس » ينبعه لقب «السيدة ليون بتريدس»... قد يكون هذا اسمها الو قيلت به.

ـ نارا، مابك؟

كان صوت سو مفعماً بالقلق والذهول ولكنه زال الحنين من الذي نارا.

ـ كان مظهرك مظهر أمس! اني الآن بحدوث حزينة... نوعاً ما.

ـ كيف تتكلمين هكذا؟

كان صوتها شبه مختنق الا انها حاولت تعطيه حلّ بها وقالت:

ـ انا اسعد فتاة في العالم!

لكن فكرها اتجه الى ذلك البوناني الذي رأته في اليوم الثالث بعد هربها منه. كان ذلك عندما خرجت ذلك المساء مع ديفد وارصلها في آخر السهرة الى مبنى المرضات في المستشفى. وقفت نارا عند المدخل واخذت تلوّح له بيدها مودعة. وبعد ان اختفت سيارة ديفد عن الانظار وارادت ان تدخل وجدت نفسها مجاة بين ذراعي البوناني الذي لم يمهلها حتى تتنفس، اذ ضمّ عليها بعنفها بعنف.

حدثت هذه الذكرى اليها وهي واقفة امام نارا في فستان العرس واعطاها الخجل من نفسها الاحساسات في اطلاسها لديفد. حين تفكر بعذاب هذا حديثه وتعاطفه مع فتاة واحدة يتمرس في وجهها حتى تسرع بتصحيح الكهربائي. إنه سيتبع الحرب لانه كان تشاجرا بها. لكن لماذا يتضرج؟

* * *

www.hilas.com

بدا ديفد محيراً قال غير واضح. طلب ليون بريدس ان تعود باسمه فاطاعت على الفور، وقال ان الدور جميعها فوافقت، وطلب اليها ان تفسح حظيرتها مع ديفد فوعدته بذلك. كانت هجينة بين بقدونس الجبال والبحر الازرق الخادع امامك ومن يمينك ومن يسارك. ستزين الزهور شعرك والمجوهرات عنقك.

التي ليمانتها فرفعت وجهها اليه وحادثته، وبعدما رحته كي يدعها تذهب واعطته وعداً بانها ستكون زوجته...

في الصباح وفي معه الاحساس بالعار وبمرارة الخيبة. فرفعت ان تبكي تدعاً على ضياع براءة نفسها... ارادت ان تطلب العفو باتية لانها فقدت قدسية فيها التي كانت تسحر حظيرتها ديفد وهو يناديها دوما حقلي العزيزة. لم تعد تلك الفتاة الخجولة...

عثرها اليوناني بالاعجاب حبه الفاكرة ولكنها ما زالت تكرهه كرهاً عميقاً. فاذا القى بها؟ بين مخالب هذا الغريب؟ لعنت ذلك الذي قذف فيها باليوناني الى حياتها، بعد ان كانت لحياً حياة هدوء وبراءة، وبعد حب ناعم لا ثارة فيه لكنه مع ذلك حب زمالة كله عطف وحنو ورقة.

ان هذا اليوناني يحب عالم العاصفة لا حدود لقدرته في اثارة العواطف ونبضات القلب. حب اكتسح كل شيء امامه وحرمها من كل شيء الا من لذة الساعة. وبالرغم من كل ذلك حاولت ثارا ان تبعد اليوناني عن ذهنها. وانتبهت في ذلك طلبت من ديفد ان يأتي اليها كل مساء ليضطجعها معه وبعدما الى نفسها في المساقي حيث كان ينتظر الى ما بعد دخولها.

اتصل بها ليون واتفقا على موعد للقاء في احد فنادق المدينة ولكنها لم

تذهب. وكانت قد طلبت من عاملة الفنادق الا توصله بها وان تقول له انها في العمل اثر في الخارج او اي شيء آخر... لانه كما قالت لها يضايقها كثيراً.

واقترب يوم عرسها دون ان تكابله ولا مرة واحدة. وشعرت بالأمان والاطمئنان ومضى بعض الوقت قبل ان يخبرها بوصول التاكسي. فالت ثارا من هذه الذكريات على صوت مو. وتناولت باقة الفرفل الابيض والزهري.

ومن تقاليد الزفاف ان يصطحب العروس من البيت الى مكان عقد القران والدها او صديق للعائلة. وكان سيراغي ثارا صديق يسلمها الى عريسها عند المدخل. ودخلت ثارا التاكسي واخذت مكانها بجانبه وكان يبتسم لها. وعندما نظر اليها جاءه هتف بالعجب:

ـ ما شاء الله! حبيبتي... ان ديفد محظوظ! ولكن فاذا لم اسيله واحظى بك؟

قال ذلك مازحاً وضحك كالاهما. وكانت سعيدة. فقد ابعدت ليون عن تفكيرها وتطلعت الى هذا اليوم الجميل والى شهر العسل بعد حفلة الاستقبال في فندق فولدن لايون. والتاء الطريق لاحظت ثارا ان التاكسي كان يتمهل في سيره ولمحت نظرة جانبية الى ذلك. فقال ان السائق ذكر له ان في المحرك بعض الخلل. ولكنه طمأنها الى انهما سيكونان هناك في الموعد المحدد.

ولكن بينما هما في الطريق اعترت السيارة مرتين او ثلاثاً ثم توقفت. فنزل كل من ثارا وحاميك لهذا الطارئ. وراى السائق وفتح الباب بعد ان تفحص المحرك وقال معتذراً ان فيه عطلاً وسيفحصه ثانية.

تجرعت ثارا في وجه الرجل وقد لفتت طريقة لفظه انتباهها. لهجته الانكليزية عادية ولكن فيها لكنة غير انكليزية تماماً. شعره اسود كعينيه وجسمه بروزي البنية. من اي بلد هو؟ ان بريطانيا تعج بالاجانب ومن الصعب معرفة اصلهم.

ـ لا تقلقي. اذا لم ينجح في اصلاح العطل فسنستطيع ان نأخذ سيارة اخرى.

قال حاميك ذلك ليطمئنها. وبالفعل اسرع سائق السيارة يأمين تاكسي

آخر. واسرعت نارا في الانتقال من الكابح الاول الى الثاني لأنها لا تريد ان تتأخر عن الوصول الى المعبد عند الوقت المحدد تماماً. لم يتحرك سائق السيارة الثانية من مكانه. فأسرع سائق السيارة الأولى يخبح الباب نارا كي تدخل وتحل مكانها. وفيما هي تسعى لتدخل معهما السائق الى الداخل واغلق الباب بسرعة. وانطلقت السيارة بها كالبرق الخاطف.

مضى بعض الوقت قبل ان تعتدل في جلستها وترتب ثوبها وتنتبه الى ان جايك لم يكن معها في السيارة.

نبهت السائق وقالت له:

ـ نسيت السيد الذي في رفقتي...

ـ اجلسي واستريحي يا نارا. الطريق امامنا طويل.

كان صوت السائق هادئاً، بطيئاً جعل قلب نارا يخفق بسرعة خشيت معها ان يقفز من صدرها. واحست بدوار في رأسها

ـ قف، قف حالاً. انزلني الآن. انزلني!

نزع باريدس القبعة عن رأسه ومسح شعره بيده. ثم قال:

ـ قلت استريحي. سأسرع كثيراً وعليك الا تفتحي الباب.

ـ سأفتحه. سافتح النافذة واصرخ.

كانت السيارة تسير بسرعة ستين ميلاً في الساعة. واخذ دماغ نارا يحمل بسرعة عليها لجد وسيلة تخرجها من هذا المأزق. عرفت الآن انها اكثر حماقة مما تصورت. فقد اطمأنت الى انها تخابئت على هذا اليوناني وتخلصت منه اخيراً ولم يخطر ببالها أنه سيلحق الى هذه الوسيلة

ـ لن تفتحي من هذا ابداً لأنهم يكونون قد اعطوا بالشرطة الآن ورقم المؤكد ان شريكك موقوف.

أجابها ليون:

ـ يا عزيزتي، انت لا تعرفين الا عن آسية. ان الرجل الذي ساعدني كان موظفاً عندي وارسلت في طلبه منذ بضعة ايام ليساعدني على اختفائك بعد ان تأكد لي انك تراجعت عن وعدك بالزواج مني. والآن سأضطجعك الى بلدي اليونان. ويكون مساعدي قد انتهى من الانتظار قبل ان يفحص صديقك الى الزاوية وسيكون في انتظارنا على زورقي في بريفيورت.

ـ زورقي؟ انت تأخذني الآن الى زورقي؟

لم تتأكد أنها سمعت صوتها. نظرت الى باقة الزهور التي في يدها ولم تتمالك من البكاء. توسلت اليه ان يدعها وشأنها:

ـ ارجوك ارجعني. مقا تتوقع من اختطافي؟ لا ادري ما الذي ستربحه! سيلقى القبض عليك وسترسل الى السجن. ألست خائفاً؟

ـ هل يبدو علي الخوف؟

سألها ساخراً، ثم وجه اليها سؤالاً كان هو الجواب:

ـ تسألينني ما سأربح. زوجة، اسمها نارا، تلك الفتاة التي وعدت والتي تراجعت عن وعدها.

صرخت انسانتها وأسلمها خصمها كل شعور بالخوف. قالت:

ـ لقد اعتقدت اني سأجرمك ذلك الحق... انها لا يجترم جرماً... مخطئة؟

ـ اجراني سنجترمني لما يجترمني كل من له علاقة بي

سألته بقلق:

- ومن عساك تكون؟

- زوجتك... وحبيبتك.

ودت لو تضربه لو ان ذلك لا يعرض حياتها للخطر. فأخذت تفكر في طريقة للخلاص... آه، وجدت الحل وخفق قلبها لهذه المفاجأة. صرخت باقتدار:

- جواز سفري! كيف تخرجني بلا جواز سفر؟

كان النصف الآخر من عبارتها غائباً من الحماس لا بها في الوقت نفسه رأته يخرج شيئاً من جيبه ويلوح به في وجهها.

- انت... سرقته... ولكن كيف؟

- ساعدني، سأقل التاكسي، تسلل الى غرفتك بسهولة كبيرة كما قال. اعاد ليون جواز السفر الى جيبه وزاد من سرعة السيارة. وراحت الشجر يركض الى الوراء بسرعة شديدة. وكانا الآن بالقرب من مصيف بريد بورت الجميل. لكنها ستهرب وأملها ان تجد طريقة ما. اذ كيف يستطيع ان يحملها على الصعود الى الزورق بالرغم منها امام الناس؟

٣ - سجينة اليخت

كان الزورق ليلاً عندما وصلا الى الميناء، وقبل ان تدير تارا رأسها لترى ما حولها وضع احدهم يده على فمها ومنع بها الى قارب صغير لفلها الى يخت اليونان. طار مشروعها بالاستنجاد بالناس وحاولت معه اعاقة. وبما زاد في يأسها الحاملة الخشنة التي لفتها وهي تنقل من السيارة الى القارب الصغير ثم الى اليخت. واخيراً الى غرفتها. اخذت تتفحص الغرفة. فوجدتها مصنوعة من خشب الساج الرفيع وكانت تسمع من خلاله اصواتاً مكبوتة. كان ذلك هدير الآلات والمحركات. وكان ليون قد ذكر لها ان في اليخت سبع غرف او قصرات بالاضافة الى شقة لطاقم الملاحين. اما شقة صاحب اليخت فهي مجهزة ومفروشة بأحسن ما يجده الانسان في ارقى الفنادق. غرفتها لا تشبه غرفته طبعاً الا انها مزودة بخزانة للثياب وبراحة

لطيفة الفريدة. كان الفراش ناعم الملمس عليه غطاء من الحرير فوق حرام ازرق.

جلست تارا على السرير والدموع تسيل من عينيها. واخذت تتحسر على ما فاتها من سعادة بسبب هذا البوتاني الضاري الذي اوقعها في قبضته. ولولاه لكانت الان زوجة سعيدة تقضي شهر العسل في فندق مريح.

لم تكف عن البكاء ولكنها عادت الى افكارها السابقة. ماذا جرى يا ترى بعد ان اختفت؟ بالطبع اول ما يقوم به جليك هو الاتصال بالقرب مقر الشرطة. وتقوم الشرطة بالبحث عنها فلا تجدها. ولن تجدها. وكيف سيجدونها

لن تفكر الشرطة ان هناك صلة بين اختفائها وبين مالك البحث كانانا الراسي في ميناء دورست. تذكرت تارا اول مقابلة لها للبوتاني في غرفتها بالمستشفى، وعضت اصابعها ندماً لأنها لم تخبر ديفد بمعاملته لها. ولما انها لم تطلع اي انسان على علاقتها به فلن يذكر اسمه في تحقيقات الشرطة. هذه نتيجة حماقتها. كانت لديها كل الاسباب لتشكو منه ومع ذلك احتفظت بها سراً.

فتح الباب ورأت ليون واقفاً في المدخل متكئاً بيد على دعامة الباب واليد الاخرى في جيبه. كان وجهه مشرقاً بابتسامة ساخرة ووقفته وقفة انتصار وغلبة. الا انها كانت ايضاً وقفة ارتياح وطمأنينة. وبوثاقة. وثبة.

كانت عباءة السوداوان تتحركان ببطء وبوقاحة وهما تتحسسان الجالسة على السرير في ثوبها الابيض. كان منظرها من سخريات القدر مضحكاً ومبكياً في آن.

- من المؤسف انه لا يوجد كاهن ليقوم بمراسيم الزواج. خاصة وانت جاهزة لتأدية كهنته.

كان تعليقه فيه تهكم ألم، لكنها امسكت عن البكاء. واحتارت بين ان تهنئه او تتوسل اليه. ولما رفعت نظرها ورأت سخت التحجرة ادركت تفاهة عاولاتها. فهمست سائلة:

- ما هي أبشع اخطائي الآن ؟

فلو لم تكف عباءة عن التطاير فيها سخرية.

صحت قليلاً ثم تكلم بجد.

- هذا سؤال سخيف يا عزيزتي. حواياتي تعرفينها جيداً... هذه اول مرة تكون تبني فيها شرعة حقاً: اني اريد ان اتزوجك.

كان وهو يتكلم ينظر الى وجهها الجميل ورأسها المنحني وقوامها الرشيق ويديها اللتين كانت تفركها بعصبية.

- يجب ان تفخري وتشعري بالسعادة لا ان تكوني بالسة حزينة كأن مأساة حلت بك.

وتنهدا اطول صوت هذا الغريب الى فجة فيها شدة وعزم وشيء من الخشونة.

- هل تريدينني ان ارفعك على الاقدام ام تلك ستنتصبين طوعاً؟

كان جوابها دموعاً تسيل بغزارة.

- ارجوك، دعني اذهب. اتوسل اليك.! فرجعني، ارجوك! ارجوك! أتعيدني الى البيت اذا انا وعدت بـ... بعدم ابلاغ الشـ... شرطة؟

- هل قمت بهذه العملية الخطرة حتى تأتي انت وتقنعيني بان اعيدك؟

- الا قلب لك؟ كنت على وشك الزواج... والذهاب الى شهر العسل. كن رجيماً معي وداعني اعود الى الرجل الذي احب.

قالت هذا وبداها مضمومتان ومرفوعتان امام وجهها تتوسلان. عبثاً حاولت. ظل وقفا غير مأثر بتوسلاتها وكانت عباءة تنظران اليها بلا شفقة ولا تتحركان. تذكرت كيف سحر عينيها في احدى الغرف بمغناطيسية وجعلها تخضع لارادته

- تعتقدين انك تحبين ذلك الشاب، ولكني لا اعتقد ذلك عكس ذلك. وان زواجك سيكون نكبة عليك. انا انقذتك وستشكريني يوماً على ذلك.

قالت بصوت تخنقه العبرات:

- لن اشكرك ابداً. من اين لك الحق، انت الغريب، تتدخل في حياتي؟

- لن أتدخل في حياتك فقط بل سأتحكم بها ايضاً.

صدمها هذا القول. من هو حتى يعين نفسه طاغية على القدر؟ ثار فيها شعور بالغضب نسيت معه خوفها ويأسها وآلامها الضائع.

- اخرج من هنا واتركني وحدي! اخرج ولا تعد مرة اخرى!

ولكنه على العكس مما كانت تأمل، اقترب منها وتناول يدها.

- عيناك حمراوان اعصب المرأة الجريئة. ولهذا السبب افضل الانكليزيات على البوتانيات اللواتي تحلمن ان يكنّ مواضعات.

شد على يدها بقوة عندما حاولت سحبها من يده وهو يتكلم.

- الا انه لا يجب ان تظني ان ملامح امرأتي الاخرية بأن المعدى المطول في كلامها ومسلكها. والرجل اليوناني سيد في بيته وانا يوناني.

لم يعجبه ابدا ان تكشف عن البكاء. قال:

- أهل انني اوضحت الامور الآن.

رفعت نظرها اليه. كانت شاحبة اللون واتخذت وضع كرامة واحتشام تمثل ذلك يؤثر فيه اكثر من اوضاع الغضب والبكاء. أجابت:

- كل الوضوح، وبما اني لست امرأتك فان التقاليد اليونانية لا تعنيني.

ضحكت مرة اخرى. اوقفها على رجليها وجذبها نحوه ثم رفع وجهها اليه. توترت اعصابها ولكنه التحى ببطء وضغطها بليونة.

- يمكنك ان تستمري في النظر الى بغضب ولكن غضبك سيتحول الى رضى بعد لحظة.

كانت تبصق في وجهه.

- الى رضى! أرأوك بشخصيتك متكبرة!

- طلبتني بحرفي معك اكثر مما توقعت انك ستكونين رقيقة مذعنة في البداية.

نسيت موقف الكرامة الذي اراحت لنفسها وتملكها غضب شديد لحظة ما نوه به.

- اتركني، والافضل ان اتركني لأني لن اكون امرأتك، ابدا!

- ستكونين لي لأني مصمم على ان تكوني لي يا نادرا، بزواج او بغير زواج. لذا من الانسب ان تقبلي ما هو محتوم.

وعلى هذا طوقها بذراعيه في عناق.

- نعم، من المحزن عدم وجود أحد لحفلة فرانا.

- اني وجد أحد ام لم يوجد عندي سيان. لن الزوجك.

- لي يقيدك عندك.

- ..... الذين سيخدعونك سفلة مثلك.

- لي بيانيم اصدقاء. صدقني، ستتزوج.

- يعني ذلك انكم ستجبرونني الى العمد بقوة السلاح؟

- لن نحتاج الى هذه الوسيلة.

- كيف ستجبرني فان؟

وجهت اليه هذا السؤال وهي تحاول ان تتصور ما يحدث الآن هناك في المستشفى. ولي بيت ميفد الذي لابد ان يكون فارغاً في مزرعة عميق. ولي والديه اللذين احداهما واحتهما ولي امه مارغريت التي كانت بمثابة صديقة لها. تصورت الفوضى التي تكون قد دبت في حيث الدكتور في انتظارها، وفكرت بموقف جانيك الذي كان مؤهلاً عليها ليوصيها الى عربتها امام المحراب. وبمرة اخرى لعنت نفسها لأنها لم تخبر أحداً عن مضايقات اليوناني وتهديده بها.

- اذا رفضت الزواج الشريف فستكونين امرأة غير شرعية.

لم تجب بشيء، لأنها خطت الى فكرة ربما كانت دخاناً في الهواء ولكنها قد تنفع.

- اعتقد انك ستختارين طريق الزواج لأنك من النوع الذي يرفض حياة الخزي والعار.

- لن اكون لا زوجتك ولا شيئاً آخر!

- كلام مدهش يطير الهواء. انت في قبضتي وتعرفين ذلك. استطيع ان استولي عليك في هذه اللحظة بالذات.

حدقت من تهديده هذا. وترددت قبل ان تقول له ما في ذهنها. نظرت اليه وكان نظره مسلطاً عليها بمزيج من كل قوة. الا انها ستحاول، فقد تنجح:

- هل تعتقد فعلاً انك ستنجو من العقاب لاختطافي؟ الم يخطر لك ان اطلاعت صديقاي وغيرهن على علاقاتك بي ومعاملتك لي؟

ضحكت تتظاهر له انها صادقة فيما تقول. واضافت:

- كثيرون هم الذين يعرفون قصتك معي. عطيي يعرف وبعض ممرضات المستشفى، وما على الشرطة الا ان تقوم ببعض التحريات لتتبع آثارك. وسيلقى القبض عليك حتماً تصل الى اليونان. . . ستحاكم وتسجن

سنوات وسنوات . . .

عف حاسبها وهي تحاكمه وتسجنه سنوات وسنوات عندما رأته يبتسم لسذاجتها . وبلعت ريقها بصعوبة لتقبرها الخافق ، وهتفتها في سر الحوار هذا الرجل الخارق . قال مبتسماً :

ـ ياطفلتي الصغيرة ، انت شفافة كالزجاج . استطيع ان اقرأ افكارك . لقد انك اخترعت كل هذا منذ لحظات .

ـ انت مخطئ . كل ما قلته صحيح . اني احذرك وستندم اذا لم تهتم بهذا التحذير!

ـ محاولتك هذه حسنة ، ولكن يبدو انك نسيت وعدك بألاّ تخبري الشرطة اذا انا اطلقت سبيلك . ووعدك لا يفيد بشيء طالما الشرطة تبحث عني الآن . هذه خطوتك الاولى . اما الخطوة الاخرى فهي انك كنت توسلين بالرئيه اني اعيدك الى بيتك . فلماذا التوسل اذا كان الكل يعلم بامرك والشرطة جادة في اتهامك؟ لست تلك الفتاة التي تتوسل كالجبناء . . .

صرخت في وجهه :

ـ لست جبانة!

ونظرت اليه كمن يحاول قتله .

ـ كيا قلت لك انت جريئة وازمتك الكبرى تتمثل في توسلك الي . وما كنت توسلت الي لو كنت تعلمين ان الشرطة تبحث عنك .

ـ الرهائن . لقد تملكك لو استطعت .

ـ الآن فقط . اما في المستقبل فسأفيدك وستمتلئين عما انت عليه الآن .

اطرقت فمها وادارت وجهها عنه . ترك الغرفة ثم عاد بعد لحظات بثلاث علب من الكرتون وضعها على السرير وقال :

ـ يجب ان تغيري ملابسك . لا تستطيعين التنقل في ثوب العرس . البث لك بثياب خارجية ارجو ان تعجب ذوقك وملابس داخلية تعجب ذوقي .

نظرت اليه حانقة .

ـ انت ذهبت لتشتري ملابسي . . . داخلية؟

ضحك وقال ان عملاً كهذا ليس غريباً عنه .

ـ صديقاتي يتوقفن مني هذا يا كهذه . . . أعلاها طريّاً .

رأى ان نظرة الاحتقار والاشمئزاز كانت حقيقية في عينيها . وهذا

الغضب حقاً ولكنه لم يفعل شيئاً سوى ان يعض على شفتيه .

ـ من الواضح ان تسوقك كثيرات .

ـ عدد لا بأس به . الا تريدين فتح العلب؟

ـ كلا ، لا اريد .

مد يده وأمرها ان تفتحها .

ـ اني افتحها . لا اريد هداياك ، كيا تسميها انت! عندما الى احدى صديقاتك .

انقبض جبينه الى النصف وهتف فاتكاً .

ـ الشمعي . واذا كنت تعرفين المزيد عني ان تتظري طلباً ثانياً .

ـ عني آمراً ثانياً .

ـ مزاجي لا يتحمل جدلاً تافهاً يائس . افعل كيا اقول لك حالاً .

هزت رأسها راضخة . ولكنها حدثت موقفه الذي قد يقلب الى غضب حقيقي .

ـ لا اريد هداياك .

وصرخت من الألم عندما لوى معصمها وصرخ فيها كالرعد :

ـ افعل ما قوله لك والا ارغمتك على ذلك وقد لا تلك وأهينك .

تأكدت اذ ذاك من حدة غضبه ، فاتجهت نحو السرير وفكت رباط احدى العلب ورفعت غطاءها .

ـ اخرجي ما فيها . سيفرحك ذلك كثيراً .

اخرجت رزمة في داخلها قميص نوم وبدو شفافاً او شبه شفاف . ورمت بالرزمة على السرير ثم التفتت اليه والدموع تملأ عينيها .

ـ دعني اذهب . لم اتسبب لك في اي اذى ، لذا ارجوك ، اعتقني .

كان يجز رأسه بالرفض حتى قبل ان تنهي كلامها . لكنها يائس شديد وضعت وجهها بيديها . ولكن قبل ان تبدأ بالبكاء رفع يديها عن وجهها واخذها بين قراصه بشيء من العنفان .

ـ لا تكوني حزينة هكذا . صدقيني ، المسألة ليست بهذا السوء . اساس حزنك قائم على تفويت فرصة الاكليل عليك وحرمانك من الرجل الذي كنت ستتزوجينه . سيكون كل ذلك في خير كان عندما تصبح زوجاً وزوجة . وستعترفين حينئذ انه مكتوب لي ان أكون زوجاً لك وحبيباً .

مال رأسها قليلاً الى جنب ورنّت خدّها بلطف قائلاً:

- ابتسمي. لا يزعجني اكثر من منظر امرأة تبكي. افتحي الآن علبة ثانية. ولكن اقرئي ما تقول في هذه.

رأت نادرا انه من الحكمة ان تطيعه. احرجت ملامس ماعلبة وفحيص نوع الحبر وتنورة. وطلب منها ان تضع العلبة الثانية ثم الثالثة. نثرت كل شيء على السرير. فكان هناك فستانان وتنورتان وثلاث بلوزات وعدة ملابس للسباحة او الاستحمام على البحار. وكل قطعة تحمل ماركات باريس. بعد ان انتهت من التأمل فيها نظرت اليه وقالت:

- لا شك انك غني.

- املك ما فيه الكفاية.

- انك تملك اكثر من اللازم.

اعقبه كلامها قليلاً وحشرها قائلاً:

- انتهى. حتى الآن تعرفين الجانب الصالح في...

ضحكت قائلة:

- بل الأصلح...

ثم اضافت:

- اذا كان هذا احسن شيء فيك ارجو ألاّ ارى أي جانب آخر!

تقدم نحوها ببطء دون ان يرفع نظره عنها. فهمت حركته وتراجعت. وكان هو يتقدم وهي تتراجع الى ان توقفت عند السرير.

- انت اردت ذلك. فاما ان اجعلك تفهمين او اني سأغيبك.

تأوهتا بين ذراعيه وضمها بعنف واعاد مشهد العناق بطريقة اسوأ من سابقتها. كان فيها وحشية لم تعهدها فيه. قاومت بشدة وعنوة ولكن اين ضعفها من بطشه. وفي النهاية كانت تعد ما يطلب منها لكن دون ان تتعدى طاقتها حدود العناق. اشمأزت من نظرته المأنوفة بعد كل عناق من هذا النوع، اي نظرة النصر، نصر القوي على الضعيف.

وبالرغم من قهرها ظلت تقاوم عناقاً. وعضت اصبعه الذي كان ما زال يلامس فمها. صرخ من الألم واحاطها نظرته المنتهجمة وحاولت ان تهرب الا انه امسك بها من شعرها وشدها كالوحش الى الوراء. وشعرت بألم شديد وصرخت هي الاخرى.

- بالك من... شقية! سأكفل لك الصاع صاعين.

وضع يده على عنقها واخذ يضغط عليه تدريجياً الى ان اتسعت فتحتا عينيها وبان فيهما خوف كبير. اكتفى بهذا ورفع يده عنها وقال بصوت هادئ:

- هذا انذار فقط ضد اية محاولة جنونية اخرى مثل هذه.

- اني اكرهك وسأقتلك اذا سنحت لي الفرصة.

كان وجهها الشاحب الى وجوه الامومات خطرة من الدم اثر هذه المعركة.

- جربي أحد الفستانين.

قال ذلك وجلس على كرسي بجانب المرآة.

- اذا كنت مرغمة على ان اجربه التركي وحدي في الغرفة.

- لماذا هذا الخجل ونحن مقبلان على الزواج بعد بضعة ايام؟

- كلا. لن تنجح في ارغامي على الزواج ولن يخاطر اي قاض بذلك!

- قلت انك ستتزوج في خلال بضعة ايام. جربي الفستان الازرق. احب ان اري كيف تظهرين فيه.

ظلت واقفة وفي عينيها حقد ظاهر.

- ماذا تخبئ من القاء الاوامر؟ اعفني من عطفي ودعني حياتي.

لم تتم كلامها لأن البكاء تغلب عليها.

- ايتها امرأة! دعي الدمع. لا تستطيع ان تقابل امرأة تكرهك وتتمنى ان تراك ميتاً عند قدميها!

- قلت لك ان شعورك سيتغير ولن تكوني كما انت الآن.

مد رجليه الى الامام مشيراً بذلك الى انه باقٍ، ثم اضاف:

- كفاك تفكيراً في الماضي. تعالي الى المستقبل.

اداروا اليه ظهرها وبدأت ترفع فستانها.

- ليس في اي مستقبل ولا ارى نوراً في حياتي وانا سجينتك.

بعض وقال انه سيجود بعد خمس دقائق ليراها في الفستان الازرق.

فعل عليها الباب وسمعت اصواتاً في الخارج. ربما كان يصدر تعليماته الى افراد البحث اذا ان البحث بدأ يتحرك. ورأت من كوة غرفتها ان اضواء القناديل تبتعد الى الوراء. وخرج البحث من الرقعة مما يدل على ان اجراء معاملات السفر قد تم. هذه خطة انتقال بين ماضيها ومستقبلها وفجأة

كئيبة وبائسة في حاضرها. الا توجد وسيلة للهرب؟ قد يأتي يوم تنجح فيه. ولكن قد يحدث الكثير الى ان يجيء ذلك اليوم.

وبدأت تبكي. الا انها توقفت قائلة لنفسها ان البكاء لا يفيدها، واستبدلت الدموع بالعزم على مقاتلة بكل الطرق الممكنة وفي كل الظروف. وسيأتي اليوم الذي يلمع فيه الماس الذي جمعته بها.

خلعت فستان العرس ووضعته على السرير. وقارنت بين شعورها منذ بضع ساعات مضت عندما لبسته بمساعدة سو وشعورها الآن، وهي تنزعه. كانت حياتها هادئة سعيدة. كلها ورود. وجودها على زورق اليونائي الغريب لا يصدق، وفوق كل ذلك هي سجينة. يبنيا يتخبط خطيبها في الظلام ليعرف ما حل بخطيبه. انه يلاحق الشرطة لتعمل لمر اختفائها او يلوم حياتك على إهماله. لكنها طردت من فكرها كل هذا وركزت قواها جهداً على الشيء الاكثر الحاحاً: ايجاد طريقة للهرب.

كانت ترتدي الفستان الازرق عندما عاد اليود الى غرفتها. تفحص كل شيء فيه ووجده كاملاً.

- جذاب! اللون يليق بك تماماً وينسجم مع عينيك. والآن ضعي ثوب العرس جانباً الى الأبد او يمكنك القاؤه في البحر.

- القاؤه في البحر؟

هزت رأسها رافضة:

- كلا! لن أفعله.

- فان سأرميه انا بنفسي.

اسرع نحو الفستان، فستان أحلامها، وحمله في احدى علب الكرتون وحمل الحقيبة. وقال قبل ان يخرج:

- انظن انك جائعة الآن، وستتناول طعام العشاء في الصالون. ولكن اذا حدث ان ملت الى الذهاب أحد مشاعلك الصاعدة فان بحارتي وكلهم يرغبون ان يصعدوا الى غرفتك لوشكرك حسب تعليمات فهم. ولا تأملي في اية طريقة للهرب.

- بل هناك طريقة واحدة... القاء بنفسي في البحر.

قال ببرود مطلق:

- ستتشلك، وان حاولت ذلك، عاقبتك. وبعد قليل سيأتي احد

البحارة ليعلمك بموعد العشاء، في حوالي عاشر دقائق. اسمه كارلوس وسيرافقك الى الصالون.

- لن اتناول اي طعام.

- ستفعلين ما يقال لك.

خرج غاضباً واغلق الباب بالمفتاح.

٤ - وقت للدموع

وقفت تارا امام المرآة وكانت الدموع تهمر من عينها الا انها تماسكت نفسها. لولا هذا اليوناني لكانت الآن تتناول طعام العشاء مع ديفد وبعد العشاء...

تنهدت وفكرت في سيدها هذا وفي قولها انها تتمنى ان تراه جثة هامدة عند قدميها. هل يمكنها تشويهه؟

دهشت هذه الفكرة الشيطانية والعدائية ايضاً، وسيسهل هربها اذا هي تمكنت منه.

سمعت قرعاً على الباب وعندما فتح رأت امامها يوناناً قصيراً اسمر اللون، ابتسم لها بتكشيرة زاد في بشاعتها سنّ من ذهب في فمه. انعقدت حنجرتها سمعته يقول:

- يقول السيد ليون ان بإمكانك الى صالة الطعام.

شعرت بالجوع ورأت ان لا فائدة من بقائها هكذا حتى لو كانت وحدها.

كانت الصالة من احدث ما يمكن. جدرانها المرآة مصنوعة من خشب الصنوبر وثاثاتها مذّت ليمتد ضد تأرجح البحر على سطح الماء. اما النوافذ فمضلعها من الزجاج المحاط بإطار من الفضة.

وصلت الى انفها رائحة الطعام الشهي. وكان ليون ايضاً جداً في لباسه البحري الابيض والازرق. كان منهمكاً في تفحص بعض الأتوات واشار بيده الى الخادم كي يبتعد عندما رأى تارا قادمة. وهاها للجلوس وساعدها اذا كانت تحب ان تتناول مقبلاً قبل العشاء. ولكنها رفضت بتهذيب، وعرض عليها شراباً خاصاً وكانت على وشك ان ترفض ولكنها امتنعت عندما رأت نظرته وانطباق شفتيه. هذه الشارات تدل على بدء هيجانه واصبحت تفهمها الآن.

وتكفل سيد مهذب بسحب كرسيها قليلاً الى الوراء. وجلست وهي تنظر بامتعاض الى الشمعدانات الفضية والى هندسة باقة الازهار. ثم قالت بصوت لاذع:

- لقد جهزت كل شيء.

- أحشاء رومانسي في البحر؟ نعم، اردت ان يكون كل شيء جاهزاً. الياس الذي لم تلقي به بعد، سيأتي بعد لحظة، هو الذي اشترى الازهار ورتبها، اما الشموع...

- اما الشموع فكانت في الدير تحتفظ بها لمناسبات مثل هذه. اعتقد ان عشرات النساء المحلاّت كن ضيفاتك على هذا الزورق.

- محلات؟ لا تسيئي سحلات. كنت أهيء حفلات خاصة لصديقاتي.

قرّب كرسياً منه ومدّ رجليه تحت الطاولة فوضعهما عليه ثم صفّق. وعلى الفور حضر رجل ليناقش الطلبات.

- سأتأي بالدور الاول من الطعام يا الياس. وقل للمديري ان يبعث النادلة.

- كم عدد رجال العائم على هذا اليخت؟

دهشت تارا من نفسها ومن قبولها هذا الوضع العجيب الذي هي فيه الآن.

كانت حالمة تنتظر الحمام يغادر الصبر. ووددت لو كانت برفقة رجل آخر غير هذا الرجل البغيض.

- ثلاثة فقط. هذا العدد أقل من العدد اللازم ليخت من هذا الحجم. الا اذ حضرت العدد برجال أكثر بهم. ولذا لن يقوم اي منهم بكلمة مما حدث اثناء هذه الرحلة. ومبيري هو الرجل الذي كان يسوق التاكسي الأول.

- هو اذن. أنه لو فكرنا في ذلك...

- كيف كان يمكنكم ان تتشكوا؟ كنتم حجزتم سيارات لخطة الزفاف ومن المستحيل ان تعرفوا ان احد السّوق من خدمي.

ثم تحلق على ذلك واخذ مبيري يقدم السلعة بينما الياس ويقدم السلعون المدخن.

وكان مبيري يتكلم مع ليون بالبولندية ولم يعجب هذا نارا التي قالت دون تفكير وبحدة:

- اضلكما تتكلمان عن نجاحكما الباهر في عملية اختطافي.

التفت الرجل فنظر اليها بعينيه السوداوين ثم الى رئيسه:

- كانت فكرة الياس الرهيبة...

- ان عليه مغادرة هذه السفينة بأسرع ما يمكن. الا ان ليون توقفها على الفور:

- لا ياس يا مبيري...

واشار ليون الى يده كي يذهب. خرج مبيري وخرج معه الياس الذي لم تعرفه بشخصيته الغريبة.

ياتهم من طائفة غريبة من اليونانيين؟ أكلهم مختالون؟ وبالوحدة وانها. سألت ليون:

- الا يحسنون الكلام عسلي؟

- انهم يطيعون الأوامر مثلما يتطلبونها انت عندما أتركك بالا تعيدي مثل هذا الكلام امام أي من الخدم. أولاً لأنه غير لائق بك، وثانياً لأني لا اريد ان تثيرا. ثرائه روحتي في اعين غيري من الناس. افهمت؟

وقفت عليه والغضب باد في عينيها

- انت آخر من أحط من الزحافي امامه.

كانت احدى يديها على شرشف الطاولة الابيض. وقبل ان تقطن الى حركة يده ضربها على مفاصل اصابعها بشفرة السكين. كانت الضربة شديدة فأدمتها كثيراً وكانت بسبب صدمة المفاجأة والألم معاً.

- إياك وهذه الحركات. احفظي لسانك اذا اردت تجنب العقاب.

نظرت الى صحنها ثم الى وجهها فقال آمراً:

- اصبحي عينيك وكلي السمك.

اخرجت منديلاً صغيراً مطرزاً كانت سو قد ثمسته في كمّ ثوبها وهي تلبسها اياه استعداداً لحفلة الزواج، قائلة لها جادة ومزاحة معاً انه كثيراً ما يحدث ان تتأثر العروس عرقاتها. وان دمعة ترقرق من عينيها عادة وعليها ان تحافظ بالمنديل في يدها.

ولكنها بدلاً من ان تمسح عينيها بالمنديل احدثت ثقباً في الكفن. اثار عملها هذا غضب ليون الذي صرخ قائلاً:

- ما بك بحق السماء؟ اريد ان اعرف. الا تكفين عن البكاء؟

- ... هناك عدة اسباب تجعلني ابكي.

تناول منديلها الصغير المستعمل فوضعه في الكفن. الا ان ليون توقفها على الفور وأخرج منديله وسيجاراً من جيبها، وقال لها بطريقة سخرية:

- شكراً.

نظر اليها بعطف ورث على وجنتها.

- اجلسي وفكري الى ماذا يمكن ان يأتي قادم الآن.

نظرت نارا اليه طويلاً متسائلة عما اذا كان ما رأته على وجهه حقاً وعطفاً أم انه صاب دموعها التي حجب عنها قسراً وجهه. ولكن من المؤكد ان عملية تجفيف دموعها بمنديله وبيده وبها. التطف تناقض تماماً شراسته وقسوته منذ قليل. شعرت بأنطفه وحنانه الحقيقيين وهذا شيء لم تتوقعه منه على الاطلاق.

كانت تأكل وهي صامتة. وبعد برهة رفعت نظرها اليه وسألته:

- اين ثوب العرس؟

- ما اهمية ذلك؟

- لا اهمية كبيرة، ولكني ارغب في الاحتفاظ به.

www.liilas.com

- ولماذا تخلقين به علماً لن تلتبسه في حفلة زواجنا؟

صدمها صوته القاسي الحازم وكأن أطنه السحري الذي اعدمها قبل لحظة لم يكن.

- لا اجري سبباً لذلك.

اطمأنت لانها لم تتعاطم في كلامها بسبب البكاء وتابعت تقول:

- لا استطيع شرح ذلك بوضوح، الا اني اجب ان احتفظ به.

- هذا شعور مريض. فسبحانك الآن بسريع مع السمك. كان جيلاً بحد ذاته ولكنك انت التي جئته. لماذا اخترت هذا الزي؟

تكلم بحدة اي اعتبار لشعورها فأجابته بغيظ كي لا تبكي:

- اني احبته وهذا يكفي! والنقطة الحق في ان اختار الزي والشكل اللذين تريدهما لثوب عرسها!

- انت احبته؟ يجب تأديب ذوقك من جديد لأنه خاطر من اي تصوّر. قد تبدين في مظهر ملكة اذا لبست الثوب والزي اللائمين لذلك.

وفجأة نظر الى شعرها كأنه يغطي اليه للمرة الأولى:

- يجب قص شعرك. انا لا أميل الى الشعر الطويل. هل كان خطيبك يقص وجهه فيه؟ انا أفضل ان يحس وجهي بما هو أنعم من الشعر.

واعطت هيئة الابهة في نظرتها كل جزء من جسمها.

- انت بهيم!

- اتشهين بالمرأة؟ منذ لحظة ضربت مفاصل يدك ولكن الأمر سيختلف في المرة القادمة.

اختلف منه كثيراً ولكنها لم تخاطر بأن تترك المكان. وبعد صمت دام بعض الوقت سألته:

- من طريقة كلامك افهم انك تأنس نسوتك حسب ذوقك انت. هل انا وقية متجرة اخرى؟

اجبته كلامها قائل:

- يعتبر الناس ذوقي في منتهى الكمال. انا كون تاجاجي معي... فهذا صحيح الى حد ما، انا احرك هذه السمي وهي ترقص لي.

كانت تقفز من مكانها بسبب عظرسته الفاحشة واحتقاره بنفسه.

- لن تراني ارقص لك. لا اجري ما نوع النسوة اللواتي لك علاقات بين

ولكن تخلصين الجراة الكافية!

سرّها سلوكه الحاذق. فهي تستطيع الآن ان تخفي عنه جانبها الأضعف وان تظهر له الجانب الأقوى الذي ترسمت فيه بصفتها عرضة في المستشفى.

- لن تواظفك. تتخصين الجراة. ولا تتخصك انت بالرغم من دموعك الغزيرة. وانا متأكد من انها ستتقاعس بشكل مدهش اذا اعترفت بأنك ربحت اكثر مما خسرت بسبب اعتطافك.

كانت هذه القاسيتان لا تحيدان عنها وهو يتدم لها سلّة الخير:

- الخير خارج، من عمل كارلوس، وكارلوس هذا رجل ماهر في كل شيء.

- لما فيها اعمال سلّته الشريرة؟

- ما لم تخطئي لسانك اسم هذا سأخبرك على مفاصل يدك. لا اريد ان اكرر تحذيري لك اكثر من مرة.

كانت السكين في يده وكانت يدها على الطاولة. فحدقت بسرعة البرق وشدّت على اسنانها من الغيظ عندما سمعته يضحك.

- كم بقي لنا من الوقت لنصل الى جزيرتك؟

- بعض الوقت. في صديق كاهن في الجزيرة وهو الذي سيزوجنا.

انقلبت حياته يوماً وهو يعيش في عزلة جبلي دائم لي. ولكني بؤاكد شكره واستاءه فانه سيتعد تلبية كل طلباتي.

- لا اصدق انه سيبقى طليك هذا.

- بلى انه سيزوجنا وان يسأل اي سؤال.

- وهذا [redacted] آخر في ثوب!

كانت كلارا مع كل لحظة تر تكسب متاعة في نفسها وثروة تقتها كأن ثروة داخلية تحميها على مواجهة هيئتها الحاضرة. وتنبها من الانهيار والاستسلام للياس والبكاء وكان ملجأها الوحيد لحدي به من شر هذا البوناي الفظيع.

- انه رجل [redacted]

- ولكنه غير مهتم [redacted]

ضحك ليون وقال:

- أرى ان لك حب التملك. هذا دليل على تفاهمنا وستكون لك قدرة عظيمة على الترويح عن النفس أقوى من قدرتهن كلهن مجتمعات.

كان ما يزال يضحك وشكت في انه يسخر منها. كانت هناك بدون تلك القسوة المهووة فيها، وشعاع مسترخيين. كما كان هناك أعجب بسيط في رأيتي فيه، مما جعلها تواتي رأي سر الفاتل بأنه بريء الطلعة. ورأت تارا ان أوجهه جذابة خاصة على بعض النساء، تلك النواتي يحبين الاستسلام.

واستخلصت تارا من تحليل وجهه ان كل ما فيه يدل على رجل لا يقهر.

وكما قارنت بينه وبين عبقد سابقاً قارنتهما الآن ولا تدري كانا رغم الفارق الكبير بين الاثنين. فعبقد لطيف جبون لا يفرض نفسه بالقوة، وكان يترك لها حرية التصرف. كان عاقله لطيفاً وفيه احترام للشخص ورقة بعيدة عن كل اناية، يعكس هذا البراني المنحرف المتعلق الذي يجد لذته في إيلامها إن في حديثه معها او في عاقته او في فرض نفسه عليها واجبارها على المواقعة.

قطع عليها حبل افكارها وسألها وهل شفتي ابتسامة تهكم:

- ما هذا الخلق الذي فيك؟

- كنت افكر في مدى احتقاري لك!

- ومع ذلك وعدت بأن تتزوجيني.

- لكني لم افكر ابداً في الزواج منك.

- انت كاذبة. في تلك الليلة عندما وعدت بأن تجري خطيبك ان زواجك به خطأ ولو كان الوقت متأخراً بعض الشيء.

- كنت... كنت تحت تأثير... انه...

ولكي لا تعيد على مسامعه تأثير تلك الامسية في المستشفى تناولت كأس الماء الطبيعي وابتلعت ما فيه دون توقف.

- تحت تأثير الحب...

- قارة؟

- لم أره منك ان تتمسكي بكلامي حرفياً. انت وقعت تأثير الرغبة، تحت تأثير حبي. كان كل مشتهاك حينذاك هو ان تكوني معي.

- أوه... انت لا تطاق، وانا اكرهك!

- لاي قلت الحقيقة؟ انت جبانة يا تارا، ولا لتكون الشجاعة الكافية لتصرفي بأنك مغرمة او موقعة حتى او مثل اي انسان آخر.

- اخرس... اهد!

وضعت يديها على اذنيها وانتصبت.

- لا اريد ان اسمع... لا اريد ان اسمع!

تركت الكرسي واسرعت نحو الباب. ولكنه كان قد سبقها اليه وسدّ الطريق عليها، ثم جذبها اليه بعنف ووضع فيه قوة عضلاته واحاط بذراعها.

كانت تقاوم لتتخلص. بهذا كان يريد ان يبرهن على سيادته وتفوقه. كانت بدأت التحسّسات طريقها وحتى بفرح بانتصاره عليها لبعدها عنه قليلاً وتغرس في وجهها.

انه يريدها ويريدها بكل قواه. اغمضت عينيها حالة يا سيحتي يا. لا تريد ان تبكي او ان تتوسل كي لا تكشف عن ضعفها. بينما كانت القوة اللازمة للمقاومة ناقصة فيها لم تسعفها بشيء.

قال بصوت متهدج:

- اعترفي بأنك تريدين الزواج مني... وبأنك كنت دائماً تريدين ذلك حتى بعد قراءة في ذلك المساء! كان يجب ان أروضك تلك الليلة لأبرهن على رغبتك التي تنكرينها.

- اعترفي بأنك تريدينني سابقاً وحاضراً.

قال بصوت مبحوح:

- اعترفي.

فقدت كل مقاومة لكي تتحداه... وفقدت كل رغبة في ذلك. انها مستعدة الآن لتستسلم بأي شكل من الاشكال ولكل أمر يصدره وهو يعلم

ان الى عرفتها قبلا كانت تتوقع . ولكن الثناء العفوية التي مرت بين ما قالته في الصالة بأنها تريد ان تتزوجه وبين الانتهاء من تناول الطعام عادت فارا الى رشدها . اقرت بأن اليونابي بخبرته الواسعة بالنساء قد يشعل فيها الضجراً بدعرها تدميراً تاماً . استفاقت فارا وحاد اليها عقلها وسلامة تفكيرها . وفيما هما ينتظران القهوة في غرفة الجلوس كانت قد اتخذت جميع الاجراءات لاعلان الحرب عليه مرة ثانية . فاستعادت رزانتها وكرامتها . اقرت داخلياً بضعفها امام رسائله واساليبه ولكنها عزمت بكل جد على الا تقع فريسة له . وستحاربه على طول الخط وتتحكم باندفاعاتها العاطفية قدر الامكان .

كان وجهها شاحباً ولكنها كانت متزنة عندما فتح الباب . ورأت ليون

دلك، مستعدة لتصبح زوجته وسمعها تقول ذلك.

اكتفى بهذا وتركها، وبعد ذلك سمعا الناس وهما يتكلمان في الخارج. طلب اليها ان تجلس وقال:

- ستروح هنا قريب بنارا وستحصلان على على ما تشتهيه نفسك.

والفاً بخلقته الطويلة بلون بشرته الاسمر وعينيه السوداوين الغائرتين وابتسامته التي لا تخلو من دلائل السخر والتهكم.

ـ لست جائعة لاستقبال؟

كان كلامه هذا طلباً اكثر منه استفهاماً.

ـ هل تريدني وضيفاً لك يا سيدي العزيز؟

رفع حاجبيه وهو يسألها ثم اغلق الباب. وبالرغم من تصميمها على المقاومة تأثرت بوجوده المفاجيء. ماذا عمل لها؟ كيف يمتلك اي رجل مثل هذه القوة؟ هل كل امرأة يلقي بها تلقح ضحية له؟

ـ انا .. انا غيرت رأيي في الزواج منك.

دهشت خدوعها وهي تتكلم.

ـ لا اعرف لماذا اتيت الي، لكن...

فقال بصوت منخفض:

ـ اقرا، كفاك كلاماً مطولاً. ان الأوان لكي تعترفي بالأمر الواقع بعد كل الذي حصل هناك منذ ساعة. لو الي حافظت الى السرير في حينها لكنت ملكاً لي الآن.

ـ ملك لك؟ النساء اليونانيات ملك لأزواجهن، اليس كذلك؟

اجابها ببطء:

ـ الزوجات معين طبعاً، وهذا ما يجب ان يكون.

ـ من ماذا يتظاهر بالبعد عن الحقيقة؟ انت تعرف الغرب حق المعرفة كما تعرف اليونان. لكن الأمر يختلف في الغرب.

ـ هل تتوقعين المساواة بين الزوج والزوجة؟ لا مساواة بيننا يا اقرا. انا سيد بيتي وكل شخص... حتى امرأتي... يعرض نفسه للخطر اذا تناسى ذلك.

تكلم بدون هياج ولكن بلهجة السيد. ولكنها قالت متحدية:

ـ ارجوك، اذهب. اريد ان انام.

ـ هل انت متعبة؟

لم يبد عليه وهو يتكلم انه كان متأثراً او غير متأثر ولم يلتصق وجهه عن اي شعور داخلي.

ـ يجب، متعبة.

ـ تكونين متعبة ايضاً لو كنت في شهر العسل؟

لم يعفي عن احتفاظها من عطيتها الا بضع ساعات. احدث تركي مرة اخرى. كانت هذه الليلة...

ـ اذهب عني! اني اكره وجودك هنا. وجهك، كبريائك اليونانية القاسية. اخرج! اخرج! وبدل ان يخرج مشى نحوها وهي تتراجع حتى وقفت عند السرير.

ـ هل خاب ظنك؟ هل الأمر كذلك؟ لكن لا ازوم لكل هذا.

قاطعته مدعولة:

ـ خاب ظني؟

ـ اي انك مخرومة... من دفيق يطارحك الغرام منذ اسابيع. خربت بيده اللحمة مرة او مرتين. يشعر الانسان انه مهزوم عندما لا يحصل على ما يشتهي.

اقترب منها قليلاً ثم توقف. فظلت لتكسب بعض الوقت:

ـ يبدو انك تعرف.

ـ طبعاً اعرف. والنساء لا يعرفن فن قرار. كثيراً ما يوافقن ومن ثم يرفضن. طبعاً، كل رجل يعرف قيمة نفسه يقبل هذا الرفض على انه تحد له، ولكن احياناً لا قيمة للتحد من هذا النوع.

فهمت من نظرته اليها انه يراً يا ولذا قررت ان تلزم الصمت.

واخذ يقترب منها على مهل.

ـ كما قلت لك، لا ازوم لأن اشعري بالحرمان. تأكدي من اني سأكون احسن بديل لحبيبك. وبالفعل، في سرك تفضلني عنه.

ـ انت متغطرس ومتكبر!

كان بلامسها تقريباً وداهمت منه رائحة حلاقة طرية فأريح الصبور بعد النظر. رفع يده وتوقعت ان يضعها الا انه رفع خفيةً الى اعلى وعاطفها

ـ تبدين جذابة جداً عندما تغضبين لماذا تريد ان اطيل مدة غضبك. ومع ذلك تريد ايضاً ان تذلك. انت مثيرة يا اقرا كما كنت في اول لحظة وقعت عليك عيني.

وقالت بعد هنيهة:

- ارجوك، اذهب.
- انت وعدت ان تتزوجني ولا ارى ضرورة للانتظار ويمكننا ان نبدأ شهر عسلنا الآن...
- كان ذلك منذ ساعتين عندما وعدتك بالزواج.

اخافتها نظراته التي كانت تأكلها اكلاً وهي تحول من رأسها الى عنقها وصدرها.

لكنها اضافت:
- غيرت رأيي. لن اتزوجك ابداً!

احمرت عيناه وزفر من انفه فذكرها بحيوانات مفترسة تتأهب للهجوم على فريستها التي ترتعد من الخوف. كيف وقعت في هذا المأزق؟ هذا يحدث لغير فقط ويقرأ الناس عنهم في الجرائد. يشفقون عليهم ثم يقلبون بالجريدة بقية وينسون كل شيء. ولم تحلم نادراً مطلقاً ان هذا سيحدث لها ذات يوم.

ولا بد ان الناس يقرأون عنها في اخبار، يقرأون عن العروس المختطفة وهي في طريقها الى حفلة الزفاف امت عناوين ضخمة على الصفحات الأولى. سيطالعها القراء باهتمام كبير وهم يتناولون طعام الافطار. وتصورت ديفد الذي يكون قد جن من الحزن، ولكنها سرت لأنها وحيدة لا اهل لها.

- ستتزوجني وستندمين ايضا الزواج.

طرد صوت هذا الرجل من افكارها كل شيء... الناس والجرائد وديفد وحل محلها، وسمعته يدنيها ويضحها بنعومة:
- تشجعي واستراحي وقبل ما اقدمه لك، وستدرين ان متعتك معي متفوق بكثير متعتك مع الرجل الذي كنت ستتخذينه زوجاً لك.
- اتركني! اذهب! لا استطيع التفكير! الا ترى ان قلبي محطم؟
- القلوب لا تتحطم. يحمل السهام، تخلصي من تعلقك بحب العذاب، هذا من وحي خيالك فقط!
- لا قلب لك وهذا هو سبب عدم فهمك لوضعي.
- اكفي الفهم كيف سأجعلك تنسين...

وبحركة خاطفة ضمها اليه وارقد وجهه على وجهها. جمعت كل قوتها

لمقاومته ومع كل بادرة للمقاومة كان يتشدد في عناقه. وشارعت نيضان قلبها.
- ما زلت تقاومين، ما هذه القوة التي فيك؟ وكلما زادت مقاومتك كان انتصاري افضل.

وعندما رفع عينيه رأى في وجهها...
احمرار الخوف واضاف:
- قلت انك غيرت رأيك بصدد زواجك مني، ولكنك لن تخيريه، اليس كذلك؟

في هذه الاثناء لمست يداه شعرها فشعرت بالفرح يسري في كل جسمها. نسيت كل شيء واصبح ديفد بعيداً عن فكرها ثلاثين السنين.

واعاد ليون سؤاله:
- هل غيرت رأيك يا فتاتي الصغيرة؟

رفعت رأسها واجابت بصوت لا تعرفه لشدة التأثر:
- كلا يا ليون، لم اغير رأيي في زواجي منك.
- الرجاء ان تتزوجني؟ قولي.
- اريد ان اتزوجك.

كان الآن يلتهمها بنظراته.
- جميلة انت حقاً!

وهنا تصورت نادرا انها في موقف يشبه تماماً موقف غيرها من النساء امامه. قرأت من هذا المنظر. كم عدد النساء اللواتي كان ينظر اليهن هكذا؟ تصورت تلك النسوة وهن واقفات امامه كما هي واقفة الآن، يسيطر عليهن وصل

حواسهن بقوة الرغبة. وفجأة تراءى لها ديفد النظيف، وتراءت لها غرفة النوم في الفندق حيث كانت ستذهب اليه بإرادتها لو انها تزوجت به.

ارتجف جسمها ... وحطمت الدموع من عينيها بعد ان حبستها كل تلك المدة.

- ما بك؟

كان يكلمها هذه المرة نحياً جنونياً. هزها ليون من كتفيها وصرخ في وجهها:

- استجمعي قواك. لحظات الكثير ولكن هذا افضل شيء. منذ لحظة كنت سعيدة والآن تبكين كالبنت الصغيرة.

فركت عينيها ورأت وجهه كأنه في ضباب. لاحظت ان هيأته لم يعد كالسابق، فقد خد، لكنها قد تكون لحظة. وعندما تكلمت كان صوتها ناعماً ذا نغمات حلوة تماماً كما كان ديفد يحب ان يسمعه:

- الم تفهم موقفي بعد يا ليون؟ كان من المفروض ان يكون اليوم بداية شهر عسلنا انا وديفد، الشهر الذي لن ينساه كل محب طيلة ايام حياته مهما تنوع ذلك من ملذات او احزان.

كانت عيناها القاتمتان الجميلتان تتوسلان اليه.

- وبدلاً من ان اكون معه في اول ليلة من شهر عسلنا الذي كنت انتظره بفارغ الصبر اراني هنا في قبضة رجل متسلط لا يحبني. وحتى حوّل يوم زفافي الى سواد ويأس وشقاء، رجل جرحني حتى من فستان عرسي الذي رماه في البحر... هذا الفستان الذي لحافظ عليه كل امرأة كما تحافظ على كنز. وهذا شيء لا تستطيع ان تفهمه انت يا ليون...

عندها البكاء ولم تستطع متابعة كلامها. واكبا قالت بعد فترة:

- لن اكون صادقة اذا قلت انك لا تخرجني وتخويني وتجبرني على قبول او قول اشياء لا اعنيها... مثل... مثل قبولي بالزواج منك.

ونظرت متوسلة مرة ثانية الى وجهه الذي كان عابساً الآن ولكن خالياً من القسوة. ولاحظت خصباً في خده يجعل كأنه ينكر بالكلام او يبلع ريقه.

وتابعت حديثها:

- هل تصدق اي جادة عندما اقول اني اريدك زوجاً؟ اذا احب شخصاً آخر. كلا، لا تغضب، الوسيل اليك الا تغضب من جديد. ليست لي

القوة الكافية لأتحمل. لم اعد اتحمل. الا ترى ذلك؟

اطمأنت قليلاً عندما رأت وجهه يدل على زوال غضبه. كان يصغي اليها بكل انتباه.

- ان قلبي يتحطم سواء آمنت بذلك ام لم تؤمن. هنا، هنا يا ليون! انه يؤلمني...

دلت على قلبها باصبعها وظل ليون مسحوراً يشهد اصبعها الرشيق وهو يلمس صدرها. وتوسلت اليه ثانية:

- لا تؤذني اكثر من ذلك. ارجوك. اتركني واذهب عني، اذا كانت لك ذرة من الشعور.

وقف وتناول عباءة حفيفة ساعدها على لبسها. لم تدر ما تقول من شدة الدهشة. استدارت بعد ان ألبسها اياها واعاد يرتبها على جسمها. وضع يديه على كتفيها بكل لطف ونظر في عينيها اللتين ما زالتا تذرفان. لم تفهم ما في عينيه السوداوين. كل شيء في هذا الرجل غريب. عدل اصبعه برشاقة وازال دمعة عن وجنتها وقال:

- استريحي قليلاً اذا استطعت يا نارا، وأملي ان تكوني احسن غداً. ليلة سعيدة يا خلقي، وحاولي الا تبكي.

فتح الباب وخرج تاركاً اياها منعمة، ضعيفة وفي حالة عقلية كانت تفصل عليها الموت.

لم تنم تلك الليلة. وبالرغم من حزنها وتعاستها كانت تتوقع ان يسوء وضعها اكثر من ذي قبل. وليون الذي ما زالت تحتقره وحشاً مفترساً لم يحاول الاعتداء عليها بل توقف عند حد لم تكن تتوقعه. كانت طيلة الليل تفكر على صوت محركات الزورق بعدة اشياء. منها ما يتصل بعضه ببعض ومنها ما ليس له معنى. الا ان شيئاً واحداً كان واضحاً كل الوضوح وخيرها كثيراً هو سلوك ليون.

* * *

تحولت بأفكارها الى ما كان سيحصل لولا احتفاظها. فكرت في حفلة عقد القران وقرع اجراس الفرح وتجمع النساء والاطفال ليشاهدوا العروس الجميلة وتراعها في ذراع عريسها. هذه اجمل ساعة في الحياة عندما يأتي الجميع ليشاهدوها هي لا غيرها في يومها ... اليوم الأوحد الذي تعيشه العروس مرة واحدة في العمر. تصورت الوالد المنحوبة في احسن فندق بالمدينة. تصورت الصور وهو يأخذ صورتها بينما تقطع كعكة العرس. وسجل معاملات الزواج الذي كانت ستوقع اسمها فيه. تبادل الانخاب والتهاني والتمنيات بالسعادة والرفاه والبنين. تصورت سو تساعدها على تغيير ملابس العرس الى ملابس سفر. والسيارة التي كانت تنتظرها لتأخذها الى المطار حيث يستقلان الطائرة الى اسكوتلاندا... لقضاء شهر العسل هناك... فكرت في دقيد وفي حالته النفسية وافكاره وقلقه. هو الآخر قد يكون متمدداً مثلها في فراشه يتصور ما كان سيحصل. في تلك اللحظة صرخت تارا تناديه في ظلام سجنها... اردات ان تقول له روحاً لروح انها تحب وانها ستحارب لتعود اليه.

والشيء الآخر الذي كان واضحاً أيضاً هو مشكلة الطرب. لأنها تعتقد ان ليون لن يحتفظ بها سجينة مدة طويلة. وقد بدأت تقبل بفكرة زواجها منه وتعرف انه اذا خيرها بين ان تكون زوجته او ان تكون امرأته سراً فانها ستقبل بالخيار الأول. وبدا لها الآن انه مكتوب عليها ان تتزوجه... ومع ذلك فانها مضطربة. وملاذها الأمن في ان تستطيع الطرب قبل الزواج ولكن امامها هنا لا وجود له نظراً لأساليبه البشعة التي يستعملها لإقناعها في قبضته.

في صباح اليوم التالي ووجدها تنتظر. عبس عندما نظر الى وجهها.

- انك لم تنامي.

كان بإمكان يحري جميل وسترة زرقاء عليها صورة مرسمة عند جيب الصدر. نظرت اليه تارا ولم تستطع التوفيق بين هذا الرجل الأنيق المظهر، الواقف امامها وبين الوحش الآخر فيه.

- كلا! ومن المضحي الا ينقضي لي جفن.

رأت شيئاً يتحرك في عينيه وعضا بقلق في عنقه ولكنها لم تحاول تفسير ذلك.

امسك يدها وقال:

- في اليونان لنا قول مأثور... ويعرفون ان خدماء الاغريق كانوا فصحاء في ايامهم.

ظلت تنظر اليه وهي لا تفهم اين اختفت فظاظته وسخريته اللتان كثيراً ما ازعجاها.

- ما هو هذا القول؟

- نتشاجر احياناً ثم نتوافق. فلنتوافق كلانا يا تارا فرتاح.

ارتعشت شفتاها لهذا التغيير الفاجيء والتطف عينيه والقراحه الرقيق الزاج عن صدرها شيء من تعاستها بسبب كل هذا.

- أنا... اعني... طبعاً اذا كان هذا ما تريد.

- هذا ما اريد. تأكدي من ذلك. هل تخبر ذلك بخاتم العنق؟

عانقها ولكن عناقه هذه المرة كان ناعماً ولطيفاً وكنه رقة.

شعرت بشيء يؤلمها في صميم قلبها ولم تعرف له سبباً. واحست ان بامكانها ان تقترب اليه او ان تبقى في ظروف غير هذه.

- لا افهمك. انت تختلف تماماً هذا الصباح.

رأت عينيه تتكدران ثم تصفوان. كان في صراع مع احساساته المتناقضة.

- لأول مرة في حياتي لا افهم نفسي يا تارا.

بدا غاضباً من نفسه. وقال منزعجاً:

- هل انت جاهزة لتناول الفطور؟ ولا تقولي انك لا تشعرين بالجوع.

وحذرها بلطف:

- والا اجبرتك ان تأكلي سواء شئت ام ابيت.

رافقته طائعة. وارتاحت لهذا التحول الذي جعلها تشعر لأول مرة بأنها في امان.

لم يغير ليون موقفه وبقي مخلصاً لوعده. وكان كل ليلة يتمنى لها ليلة سعيدة ويتركها مطمئنة. واحياناً كان ينظر اليها متفحصاً حزينا وكأنها الثلاثين لم يجتمعا بعد. ومرة غضب لأنه كان يريدها ان تبتسم. فكانت تبتسم احياناً وتقول ان الابتسامة لا تغير شيئاً من حالتها او شعورها.

- انت عنيدة يا تارا. وايأ كان رأيك في قرارك، فقد انطلقت من زواج كان سيتحول الى كارثة.

- انت لا تعرف الشعور بين وبين عيفه.
- انا اعرف اي رجل يحبك.
- لن تكون انت هذا الرجل في كل الأحوال.
- ستزين كيف ان زواجنا سيحطك لمدة لا تتصورينها.

قالت بمرود:

- اري انك لم تتغير.
- فيما التغير؟

كانا واقفين على ظهر اليخت في لباس السباحة.

- قلت انك قد تعيدني الى بيتي.
- لا تحلمي بذلك. انا اريدك وتحملت الكثير لأحصل عليك. انا من نصيبك وانت من نصيبي لتكوني اماً لأولادي...
- كلا، لا اريد اولادك!

لاحظت الغضب في عينيه. ولم تستطع النظر الى تلك العينين الخاطئين فخلفت عينيها وبدأت تتصور رسوماً وصوراً تتراقص على الكتب حيث كانت واقفة.

- بالرغم من اي شيء، اخر سأعطيك اولاداً وهذا ما قررته، اذ ان حياة زوجية بلا اولاد ينقصها عنصر حيوي مهم.
- مهم؟ ما هو المهم فيه؟

صحيح ان صوته كان حاداً وصارماً، الا انه على شيء قد يكون مهماً وكانت تود ان تفهم هذا الشيء.

- مهم لنجاح الحياة الزوجية.

هل كان ينوي ان يقول انه مهم لسعادة الزوجين؟

- الا تعطي السعادة الزوجية اهمية اكبر؟

وبعد ذلك لم يتكلم كلاهما. فيم كان يفكر؟ تورتز اعصاب نفسها وظنت انها قد تكتشف شيئاً من اهتمامه، ولكن هذا كان ظناً عابراً يجب ان تنساه.

- سنفصل جزيرة كورفو غداً، وسأترك الى البر لأي بصديقي الكاهن كي يقوم بمراسيم الزفاف. انكمش قلبها وسرت قشعريرة في جسمها. وقالت وهي تتذمر بخفاف في شفتيها:
- لم تقل لي انك تقارب من كورفو.

- لا حاجة بك لأن تعرفي. اعرف انك تأملين في اغتنام الفرصة لتهرب كلما توقفنا في احد الموانئ بقصد التموين. واعتقد الآن انك تعرفين قدرتي في التنظيم وحرصي بحذائي على تنفيذ اوامري ليس فوتك كلي توقفنا في مكان ما. وفي كورفو سأقفل عليك الباب مثل كل مرة.

كانت تكرهه بشدة حيناً وتلويها حيناً آخر. واحدت تتكلم وهي تبتع ريقها:

- لا اريد الزواج منك. استحلفك بالله، اتركني واعدك بأني لن اتكلم بشيء.
- وكيف تفسرين غيابك كل هذه المدة؟

كان مهتماً جداً بسماع جوابها.

- سأختلق لي شيء. فقدان الذاكرة مثلاً... فيري يفقد ذاكرته ايضاً!
- لا تكوني سخيفة!

كانت لهجته كأنما موجهة الى طفله.

- انسيت انك اعطفت؟
- لن انسى ذلك طيلة حياتي!
- قد تعترين يوماً ان اعطفاك كان بركة عليك. ارتدي الثوب الذي اشتريته لك من لشبونة. لونه يناسب جمالك وطرازه ايضاً. هل احببته؟

هزت رأسها لأنها تذكرت لونها الجميل الرائع في قعر البحر. اما الثوب الذي تكلم عنه لون وهو واحد من بين الوان اخرى كان يجعلها كلما توقفا في مرفأ فكان يلون الرجال الذهبي، مشدوداً عند الصدر واسفله كله ثنيات. وكانت اكمامه طويلة تضيق عند المعصمين. القستان جميل وكامل كل الكمال ولكنها بدأت تكرهه لأنه سيكون قستان عرسها.

- لا بأس به

وبعد فترة قالت:

- اليست هناك وسيلة لاقناعك باعطائي حريتي؟

هز رأسه بالنفي وعيس ولم تترك له فرصة الكلام اذ قالت:

- لن يزوجنا كاهنك هذا! سأبلغه، وبالرغم من ذلك سيبقى سجية فان سأخيفه من العقاب حتى يرفض زواجنا مهما كان مدينا لك.
- اذن سأصرفه اذا انت رفضت، وسنصبحين امرتي بالسر.

هذا هو الخيار الثاني الذي وقفت امامه كل الاحتجاجاتها وتهديداتها.

- هل سيروحنا على البحث؟

- طبعاً. فاني لا اخاطر بأحدك الى الشاطئ.

- اذن لا خيار لي... الا في الزواج منك.

المعروف ان الزواج بالقوة مستحيل، ولكن بسبب الوضع الذي هي فيه الآن فلما الزواج واما... الخيار الآخر... فاذن سأتزوج وسأبقى لمخطط للهرب... وسوف انجح.

٦ - الدّوامة العمياء

عندما اقترب البحث من هيدرا رأت تارا الجزيرة في وهج غروب الشمس، وبدت لأنها هروس بحر تطلع على سطح لذاء افادى. في خليج مانروليك. وبالرغم من وضعها لفت نظرها هذا المكان الذي ستعيش فيه.

عرفت تارا شيئاً عن تاريخ الجزيرة من جملة ما قص عليها ليون. كانت مركزاً لقراصنة البحر، اما الآن فانها تستهوي الكتّاب والفنانين واصحاب السفن وغيرهم. والمباني الضخمة القائمة على سفوح التلال يملكها الاثرياء... وكان ليون أحد هؤلاء.

قال لها انه كان في وقت ما أحد ملاّك النواحر الا انه تحوّل الى فن الازياء. يملك مؤسسة هيرا وهي من ارقى بيوت الازياء النسائية

المشهورة. تذكرت فارا الآن ماذا ذكر ليون في احاديثه السابقة معها عبارة «تلفاح ودمى» وعرفت ان ثروته دفين للقذافي. والشهر فسابين هذه المؤسسة صممها ليون بنفسه فأكسبتها شهرة عالمية.

رفضت هذه المعلومات من قيمته في عينيها واعتبرته اقل وحشية من اي قبل، ولكنها لم تتخل عن فكرة الهرب في اول فرصة ممكنة تواتيها على الجزيرة.

كانت واقفة عند مرساح البحث عندما انضم اليون اليها:

- سأمكث على يختنا عندما نقترب من الجزيرة.

احست بدهشة في محدثها لدى سماعها كلمة «يختنا». لانها ملت حل ان مستقبلها تقرر وانتهى.

ولا شيء في العالم يستطيع ان يغير منه شيئاً. اصبحت ملكاً لزوجها، وقرر فيما كاليفيا، ستسكنه حيث ستكون قطعة الاثاث وحدة مطيعة لليون كباقي نساء اليونان. القت اليه وميض الغواء شعرها فمطى وجهه، وعندما تكشفت كانت في صورتها مرقوة الرأس:

- أنه يختك انت! لن يكون ابداً يختنا نحن الاثنين!

انعكست هذه العبارة وقال عندها:

- ما معنى هذا؟ هل ما زلت تفكرين بالانفلات مني؟

واستأنفت الغواية وضمته لصدرها، لقد سأحاول الهرب...

واصلت ان يرفع صوته عالياً لاعتقادها هذه، وعندما قال:

- يجب ان نؤامر على ما فعلته لك وهو انك ستباركين هذا الزواج. فلقد يولد لنا طفل في وقت ليس ببعيد... قد يكون حل الطريق الآن... وعندئذ ستطيقين نصيبك.

احست بالقباض في قلبها. طفل على الطريق؟ فعلاً، بعد ذلك الليلي التي امضتها معه ربما صار هذا حقيقة واقعة. لم تفكر في ذلك مطلقاً. دعت الى الله ان يتفذها من ذلك، واذا صح انها ستنجب طفلاً، فسيمد عليها هذا الطفل طريق الهرب. ولن يفرط ليون بطفله كما أعاده معها ذات يوم. وهذا سيرغمها على البقاء. لاحظ ارتعاشها وهي تعلق على كلامه:

- اصلي من كل قلبي الا يحصل هذا. هل نسيت اني احب رجلاً آخر؟ احتملني زوجة لك، ولكنك ستندم!

- او ستتعبين الى الشرطة اذا هربت؟ هل هذا الذي سيجعلني أندم؟

بانت فارا فساوة صوته كقساوة جبل من حليد، ولكنها تابعت كلامها بحدة لم يعهدها فيها:

- قلت لك قبل هذه المرة اني لن احير الشرطة اذا تركتني اذهب. رجوتك فرفضت، ولكني هذه المرة سأذهب! وصديقك الكاهن سيكون مأواه السجن... برقبتك طبعاً!

- ماذا عمل ذلك الكاهن؟ انك لم تتذمري ابداً وهو يقوم بمراسيم الزواج.

تأخرت في التعليق على قوله هذا لانها احست باغتياظ من فرط سذاجته، لكنها استطاعت ان تقول:

- لم اتذمر من تهديدك لي اذا انا رفضت. لكني اعتقد ان الكاهن، وهو مفرط الذكاء، أحس بشيء غير طبيعي.

- لم يرتكب الكاهن اي شيء غير قانوني. فاذهبي وشأنه... هذا اذا تمكنت من الهرب.

افهم من كلامك هذا ان الهرب قد يكون محتملاً. الصرف؟ لقد قيدتموني، وان المكوكة لإحياء هذا الامل في

تطلع نحو الجزيرة بأسف وبعد قليل

- ها تحدثت اخيراً كعاقلة! في وقت قريب... عندئذ لن تكوني

- ولن تكون عندئذ في حاجة الى ان تعرفي ما فعلته لك. ليل ما بعد اليوم؟

قالت وهي ترتجف:

- كيا قلت سأبقى سأعتني كيلا أحمل طفلاً.

- كلانا في صحة جيدة، ومن المعقول ان تلدي طفلاً خلال السنة.

لم تعلق بشيء على كلامه، وادار وجهها اليه صاعقاً على ذقنها باصابعه القاسية. فاستعدت لاحد مشاغباته المعروفة يرحمانها، وكرر بصره فيها وقال:

- سأعمل للتسجيل كي تلدي في طفلاً يا فارا. افهمت؟ ان سيدك وحياتك رهن بي، وستحملين العدد الذي اريده من الاطفال.

- سأكون قطعة الاثاث في بيتك اذن!

كاد صوابها يطير من الغضب. اي اهانة اكبر من اجبارها على سماع

www.liilas.com

وقلبك؟

- وعيناك أيضاً! سألقاك ذلك يوماً من الأيام؟ وستكون أمنى الناس لها طلعت ذلك متفائح في لقائي سعيدة عندئذ؟

تحول عنها واصلت تارا تحسس فتاها والدموع تترقرق في عينيها، دموع الشقاء واليأس، اليأس من أملها في التخلص من بطنه وحمل ضعفها. آه ايها سنتي لما هي ولدت له طفلاً!

اعتار غضوه لها وتركها. رآه وقحاً في مشيه، وقحاً في مظهره. وبالرغم من ارستقراطيته الزائفة فانه لن يستطيع تغيير الطباع الدنيئة التي ادت فيه جداً الى جنب مع رقته. وعادت بفكرها الى الليلة الاولى حل البحث عندما ابدى تحولاً في معاملته لها، بعد ان لان لتوسلاتها وخرج من غرفتها دون ان يمسها. في تلك اللحظة كان صوته لطيفاً ومعاملته انسانية مما يدل على انه كان قادراً عليها، ويرهن على ذلك في الايام القليلة التي تبعت تلك الليلة والتي تعهد فيها بأن يبقى حل وئام معها.

ولكن ما ان اقترب البحث من جزيرة هيدرا حتى دبّ الخلاف بينهما من جديد عندما ذكر لها اقتراب ساعة حفل قرانهما الذي يعني نهاية امالها. وزاد الشقاق في اول ليلة لهما معاً بعد مراسيم الاكليل، عندما حاولت ان تقاومه بكل قواها التي ما لبثت ان تلاشت امام بطشه. فهدأت تارا جسدياً الا انها كانت تقاومه بكل خلجاتها. فرائصها ليون امرأة خاضعة جسياً وعقلاً ولهذا لم يتمتع بانتصاره انتصاراً كاملاً.

وتوخها وهو يؤكد لها ان آمالها ستخيب على مقاومتها وستتمزق في نهاية الأمر لتكون بين ذراعيه. الزمن والأسى كفيلا بقطع بصدق قواه معارضة بضعفها في لحظات كهذه. كما اعتبرت قواه صحيحاً عندما أكد لها ان أحداً لن يستطيع منحها ولو جزءاً صغيراً مما يمنحها هو، فهذا قد خبرة واسعة مع النساء وذلك ما زال مبتدئاً.

اصبح البحث قاتلاً قريباً من مدخل الميناء. واخذت تارا تمتع بصرها بمشهد اليخوت ذات الاشرعة البيضاء والقوارب الصغيرة ذات الالوان الزاهية. ورفعت نظرها لتشاهد جبل الجزيرة الشاهق من اي عصفرة. كان المشهد جميلاً جداً. والفيلات والبيوت البديعة تنتشر في المناطق العليا من التلال أمام بيوت اهل الجزيرة المتواضعة المدهونة بالابيض والازرق فكانت

متراصة في المناطق الادنى مستوى او منتشرة بمحاذاة الشاطئ، يحفوها برج ... كانت الجزيرة جنية محرومة من الطرق العبدة، وحركة السير فيها على الارجل او حل الحمير، وحيث الطرق معدومة تماماً يصل الناس الى بيوتهم بواسطة الأنواع الحجرية. ولما ابدت تارا ملاحظة بأن الجزيرة فريدة من نوعها، قال لورن بأن كل الجزر اليونانية حيث يصعب شق الطرق مبنية على هذا النسق.

كانت تنظر الى كل ذلك وحدها عندما احست بحركة قريباً منه. كان ليون خفيفاً في حركاته وقفاً اعلقت عليه القلب الفظ البري.

- انظري! هذا هو بيتنا

رأت قصراً جميلاً فوق هضبة تطل على الميناء وعلى خليج ساروينك.

- من المؤكد ان المنظر جميل من هنا.

ثم انها التت الى هذا المكان مع زوج امه لكانت اسعد النساء...

- أمل ان يعجبك القصر يا تارا. سيكون بيتك الابدي من الآن فصاعداً، وعليه فالصحك بان تتكيفي مع حياتك الجديدة هنا.

- سأتكيف كسحبة طبعاً. اني اتساءل كيف ستتغير اثر لقائي هنا، غير ان تلك خطتك التي ستتجح كما نجحت غيرها ولا شك.

كانت وهي تتكلم تشعر بمرارة وأسى شديدين.

- سأقول لخسيي أنك تعانين من ابهار عصبي يمنعك من الاختلاط بالناس فيحملك المحزون لمغرفك. وبما ان مرضك هنا يقلقني كثيراً ولكني تكوني في أمان فسيرافقك الخدم طيلة الوقت. هناك بستانيان يرافقانك اثناء تجوالك في الحديقة، وبلايا التي ستكون وصيفتك الخاصة لن تفارقك وانت داخل البيت. وحي تقوم باعمال اخرى عدا الا تتركك تتجولين خارج محيط القصر.

وجدت نفسها مرغمة على الاعتراف به رغم حقدها العميق.

- انت ذكي ومكراً واذا قلت فهم انك ذلك كذلب في كذب؟

كان التهكم واضحاً في اعتقاده

- هل سيصدقونك ويكذبون رجلاً يعرفونه منذ سنوات؟ وهل دفعت بك مداعبتك الى الاعتقاد انهم سيخاطرون فيخسرون عملهم من اجلك؟

نظرت في عينيه ملياً وسألته بكل جدية واهتمام:

- هل يصدقون كل ما تقوله عنهم ام انهم فقط يتعذبون لوضعك وأحوالهم مخيفة دون ان يجدوا معرفة مدى الصدق او الكذب فيما تقول؟

اجابني رأسه موافقاً وقال:

- يتظاهرون راضياً مني، وهم يعلمون ان العمل على هذه الجزيرة صعب للغاية. ومن حقي يعمل يتمسك به بيديه ورجليه. وانا واثق يا نارا انهم سيحتون بك اكثر عناية وان يدعوك تعلمين.

- هل قيام مراقبة على مدى اربع وعشرين ساعة في اليوم ممكن؟

تبسم كمن يتسم لطفل ساذج.

- ستكونين تحت مراقبتي فترة لا بأس بها في الاربع والعشرين ساعة اذ ذاك ستكونين رفيقتي من العشاء حتى ما بعد الفطور من صباح اليوم التالي.

كانت النظرة السامة التي رمقه بها خليقة ارتباك وضحك.

- نعم يا سخاني!

- انهك ألا تتمادى في الكلام. الصبر ليس من صفات زوجك.

تركها فجأة مشيا الى حلبة. وعادت تنظر الى الوحوش والطوارب الراسية في الميناء بينما عادت بأفكارها الى ديفد. هل يفكر فيها يكون قد جرى فاما من اختطاف او تعذيب او موت ايضاً؟ هل يتوقع اعتباراً لقول انهم وجدوا جثتها ملقاة في احد الحقول او في حفرة؟ ويعرف نارا ان كل يوم يمر على ديفد يضيف اميالاً في الحاجز عنهما، وما قد مضى استوعبت على احتمالها في ذلك اليوم المشؤوم...

قد يكتشف ديفد انها مازوخية، واذا تحدثت في الغرب وكان ليون في السجن سيلقى زواجها. تصورت ليون في السجن يقوم بالاشغال الشاقة ويعيش على الخبز والماء وسألعب لانتهاء مدة سجنه!

في تلك اللحظة عاد ليون اليها وفكرت في ابتداء حل دفعه الى الماء والنظر اليه وهو يغرق.

- اراك تفكرين كثيراً يا نارا.

- نعم. كنت افكر في مدى تمني لمنظرك وانت تغرق وتتحول طعاماً لكلاب البحر.

قال ضاحكاً:

- لا الصورة امرأة متعطشة للدماء، ولا توجد كلاب بحر في هذه المنطقة.

وانظرته نارا بيوم الحساب قائلة:

- ان يومي الآن.

- سنرى يا فتاتي. اراهنك على انه لن يمضي شهر الا وتكونين متعلقة بي لدرجة لا تستطيعين معها الا التراجع عن تهديداتك.

فكرت، متغطرس، ادارت له ظهرها لعله يتركها فتختفي منه. ولكنها احست بيدين قويتين تنتشلان على كتفيها وادارتاها لترى وجهها كل ملامحه صارمة وفيا مطبقاً وعينين تقدحان ناراً. توترت اعصابها ونبض قلبها واسودت الدنيا في عينيه واحدثت شقوقاً تتلألأ.

- لا تجربي ظهرك لي مرة اخرى! تعلمي أصول الاحترام والا...

هز جسمها هزاً قد على وزن تحذيره هذا.

كانت نارا تتبع ريقها المرة تلو المرة وهي تحاول التخلص من الاحساس المخيف الذي تشعر به كلما كانت في قبضة هذا الشيطان المتجبر والذي يجد فيها قوة التحكم.

- ارفع يديك، ارجوك، انت تؤلم كتفي!

- سؤلك في جسمك غير كتفيك اذا عاملتني بهذه الطريقة!

كانت تبكي. تركها ولكنه ظل ينظر اليها نظرته الكريهة.

اعتقدت انه سيرغمها على الاعتذار وعلى القطاعة له. ولكنه ظل صامتاً. كان ينظر الى الجزيرة والى انوارها المتلألئة مع غياب الشمس وراء أفق ذهبي اللون اضفى جمالاً حتى على الهموم العالية.

وبدأت النجوم تتلألأ في سماء هيدرا وافلات من عليائه يطل على العالم.

وكلما اقترب البحار من الشاطئ، توضحت معالم الفيلات والبيوت والتلال التي كانت فيما مضى مأوى للفراعنة الذين جمعوا اموالاً طائلة وعاشوا حياة يشع وجود. وفارت نارا بين هذه المباني الفخمة وبين البيوت الصغيرة المكعبة الشكل والفرق الشاسع بين انيقة الاولى ووضاعة الثانية. ولكنها لاحظت ان كل بيت من هذه البيوت الشعبية تحيط به حدائق صغيرة تزينها الازهار، ولا غرو من شجرة برتقال او ليمون.

كان الظلام تاماً عندما رسا البحار في الميناء، ولكني لا ادرك هذا اية فرصة تظهر امامك ليون بذراعها بقبضة من حديد وحذرها من محاولة القيام بأي شيء والا اعادها الى غرفتها على البحار واغلق الباب عليها

حيث مربيتها الى صباح اليوم التالي. اعطتا طريقها عبر غرفات ضيقة مظلمة وبدأ صعوده الثقيل. وقال لها زوجها ان ثلاثة رجال الشباب سيرافقونها فتزين لتارا مدى حرص زوجها على سد جميع الطرق في وجهها. ولكن يؤكد لها ذلك فان بسخرية.

- حاولي الهرب يا تارا وسترين ان ذلك يكلفك غالياً.

التفتت تارا حولها ولكنها لم تر الرجال أثراً.

- انهم لا يزالون على البعد ليتركوا حظائنا اذا اني حمت لك اختلف الثياب من الخازن الازيلة في مدن الفنور حيث كنا نرسي. وستحصلين على الزيد منها. كما اني مهتم بأن ترتدي فساتين من ثمانينا.

يعني هذا انها ستلبس فساتين من تصاميم مؤسسته وستكون دمية يستعملها لمتعته.

وصلا الى الطبلا وكان احد الخدم عند الباب ليستقبل سيد الدار. احد الخدم يتسم ولكن ابتسامته اختفت عندما وقع نظره على تارا.

- هذه زوجتي يا كليانكس. تارا، هذا احد الخدم.

بدا الرجل مذهولاً وقال على الفور:

- زوجتك يا سيد ليون؟ ولكن الأمة...

توقف عن الكلام على الفور وبدا الرعب في عينيه انتشر له في السؤال.

وهتف تارا زوجها بنظرة خفيفة ورأت الغضب في عينيه.

- اعلا بكيا... سيد ليون... سيدة ليون.

كان كليانكس يتلعثم خوفاً من سيده. واستنتجت تارا من ذلك انه قد يعاقب، ورأت لو تعرف من هي هذه السيدة الاخرى التي حجزها ليون بعد ان اصبحت له زوجة. لا تستطرب تارا ان يكون لزوجها اكثر من امرأة واحدة في نفس الوقت، اذ ان بوسعه تسميح له بذلك.

وقف كليانكس جامداً فاتحاً فمه ولساناً تزيه الازهار والطعائس والمفروشات الحريرية الغالية الثمن والتماثيل العظمية وارض من الفسيفساء.

- اخيراً سيجتمع الجميع الآن للسيد ليون زوجة الآن! نعم، سيكون هنا اولاد عديدون!

استولى الغضب على تارا التي صرخت في وجهه:

- اذهب!

نظر الرجل الى ليون مستفسراً.

- الى ؟ ما هذا... الى.

- ان السيدة ليون متعبة. ارسل لنا بلانا لترافقها الى غرفتها.

- حسناً يا سيدي. انا ذاهب لتوّي!

قال ذلك واختفى راكضاً ليشيع خبر قدوم العروس. في تلك الاثناء التفت ليون الى زوجته وهتف قائلاً:

- تعلّمي ان تضبطي لسانك. كنت تهينك الى ذلك من قبل!

- لن اقبل ان يتكلم خادم عن اولاد. لي كرامتي.

- هذه ليلة طيبة لراقي التهاني بالزواج في بلادنا. وستعتادين على عفوية اليونانيين وانداقهم.

- الرجال منهم. اما النساء فاظن انهن خرس... بفضل جبروت ازواجهن.

- يا لغبي! كانت صفعتك الآن لولا تعي، بلايا في اية حفظة؟

لم تجب تارا واخفت تحيل نظرها في انحاء البهو لتتلهى قليلاً وتهدىء اعصابها الثائرة. رأت على الجدران لوحات قديمة وصوراً تاريخية، وفيها هي كاد ذلك انت بلايا ورافقتها الى غرفة هاء سقف عالٍ ابيض موشّى بالذهب. ستائرها توهج والسرير مغطى بالمخمل الاخضر. اما جدران الغرفة فبيضاء وكل شيء فيها يدل على ذوق سليم ليس فيه تطرّف.

وجدت في غرفة الحمام مناشف سميكة من الحرير. وعلى الرفوف زجاجات جرة تحتوي على كل ما تحتاج اليه. وتساءلت تارا كم من النساء سبقتها وتمكن في هذا القصر. وجدت بجانب غرفتها غرفة اخرى كان بابها مغلقاً. وحاولت ان تصت لتعلم تسمع صوتاً او حركة فيها ولكنها لم تسمع شيئاً كانت سجينة بين غرفة وشعرت بالوحدة والشوق الى من تحب وباحقاد على من احتطفها وآذتها...

تكاتب اذا هي اذعت انها لا تستطيع بصدق ليون. فليون يسيطر عليها بقوة وجانبه عارفين فيقربها بطرق سلسة ويستولي عليها بأساليبه الأغاثة. اي نوع من المرأة هي؟ كم من مرة سألت نفسها هذا السؤال منذ ان اختطفها ليون. قبل ذلك كانت تحسّ خجلاً اذا حاول رجل ان يقترب

اليها بجرأة مكشوفة. وقبلت بديهة لأبي وجدته معتدلاً ورزيناً. ومع ذلك فهي تصنع بهذا الرجل الذي تكرهه. لا تفهم كل هذا لأنها لا تفهم نفسها.

كان هناك باب داخلي يؤدي الى غرفة ثانية. وجدت في مكانها عندما رأت مقبض الباب يدور ببطء ودون اي صوت. من عساه ان يكون؟ ولما لم يفتح الباب استعمل مفتاحاً.

كان رجلاً. استدارت لترا تستجد بيلايا ولكن هذه لم تكن في الغرفة. والرجل هذا كان زوجها ولم تتميزه بسرعة لأن الضوء كان وراءه فبدت تقاطيعه كتقاطيع [illegible]. اخذت تفحصه وكلما حاولت ان تميزه اكثر ترى فيه عدوها اللدود! ولا تعرف من اين اتتها قوة مداعبة معاندة جعلتها تصمم على مقاتلته حتى النهاية. لن تخضع له كما كانت تفعل في السابق.

- تعال الى هنا!

وجه اليها هذا الامر مشيراً الى مكان عند رجليه.

- اني منتظرة الآن بالنظر الى الخارج.

قالت ذلك واقتربت من نافذة عليها ستائر غير مسدلة بعد.

- انظرين في الظلام؟ لا تكوني سخيفة!

- لست عمياء. استطيع ان ارى.

- ماذا تستطيعين ان ترى غير الأشرار والبحر؟

- ماذا تريد؟

سألته وهي تقترب من النافذة اكثر فاكثر.

- قلت لك ان تأتي الي. واذا كان لك قليل من العقل يا ترا فاعلمي اني لست رجلاً يقبل التحدي. أتريدني حالاً؟

- اين تبلي؟ تريد ان اخلع ثم اتيّ.

- تبلك في طريقها الى هنا.

وأمرها ان تقترب منه حتى قدميه. بدأت دقات قلبها تتسارع وعقلها يعمل ومع ذلك كانت تتقدم نحوه كآلة مسيّرة.

- انا... انت...

- من حسن حظك انك تحركت في النهاية. كنت على وشك تلقينك درساً لن تنسيه!

- اي انك تستعمل العصى؟

- أتوي ان اركلك على ركبتيك وان اذلك.

٧ ـ انتصار صغير

كانت نادا واقفة بالقرب من عين الماء في الحديقة تنظر الى سفوح التلال المزروعة بالزيتون والى زرقة مياه البحر والى الافق بين البحر والسماء. وكانت تشعر بقرب البستانيين لكن دون ان تراهما. وبعد بضع دقائق خرج زوجها من البيت وقالت له عندما اقترب منها انها ستهرب مهما تشددت الرقابة عليها.

ـ لا تتصوري نفسك تعملياً ماكراً. تلزمك بعد بعض الدروس القاسية.

هزت كتفيها لتظهر له عدم مبالاتها وقالت:

ـ ذلك مالياً بعد. لقد اعتدت على مواجهتك الآن بعد ثلاثة اسابيع.

ـ انت أعدد امرأة التقيت بها في حياتي.

ـ الآن لم اخضع بعد لتسحرك؟ هذه ضربة قاسية لكبريائك لاني لم اقع في

حبك. كم قلما حظيت في حياتك؟

ـ لكنك سقطت ضحيتك...

توقف عند الكلام جملة ولكنه عبس وقال:

ـ قبل كل شيء انك رهائنك، ولا بد انك تعترفين لنفسك بأن اللعبة التي تشعرين بها معي لأعظم بكثير مما لو كنت مع غيري.

لا تستطيع ان تناقشه في هذا الموضوع. فهو يعرف تماماً انها تقر به.

ـ لكن الأهم من هذا انك لم تعد بقلبي.

ـ هذا صحيح، لكن لدي الوقت الكافي.

ـ هل تهتم فعلاً بأن الع في حبك؟

ـ ليس بالضرورة، الا ان الحياة تكون افضل، ودلالة على ذلك ان تزوجيني بشجاعتك الذي لا ينتهي.

ـ لم اكن كذلك قبل ان اتعرف عليك!

ـ طبعاً لا. فمن يقع في حبك كي تتجادلي معه؟ ان حظ جيفد اكبر مما يتصور لانه لم يتورط معك. ولكن هل يعرف ذلك؟

لم تظهر نادا درجة الحيط الذي استولى عليها. وهذه احدى الزلات القليلة التي تنجح في ضبط اعصابها أملاً منها بأن يفقد السيطرة على اعصابه، ولكنها لا تستطيع الاستمرار. لقد سيطر بها بالتلاشي عادة فيحدثّ مزاجها. يفعل ذلك كلما هدّدها بالضرب. اما هو فلا يفقد هدوءه البارد الا نادراً. كان البستانيان الآن يعملان قريباً منها واخذت تفكر في طريقة للهرب. من غير المعقول ان يبقى زوجها في البيت ويهمل أعماله. فلا بد له من ان يسافر الى انبا مثلاً. وانها قال هذا مرة انبا لن ترافقه في رحلاته حيث لا يستطيع مراقبتها كما تراقب هنا.

نظر اليها ووجه انتباهه نظرها

ـ من السهل ان يتمنى المرء ما تفكرين فيه. الا تتوقفين عن التفكير بالهرب؟

ـ ابداً! واتمنى ان ارى هذين الاثنين يسقطان امامي جثتين هامدتين.

ـ فكري فيما تخسرين لو انك تركت بيتي.

قال ذلك ليذكّرها بمواقف ضعفها

ـ هالك من حار مذكّراً

انبا تتسرع في الاجابة دون ان تفكر. ولولا وجود البستانيين لكانت

الآن تذوق أم العذاب. ولكن القصى ما حدث هو ان وجهه دلّ على غضب شديد وهياج مكبوت.

- يبدو لي انك تحب العذاب، واضاف بالغرب انى لم استعمل العصا لغاية الآن.

ورأت يده تتشنج واصابعه تتلوى كأنه يريد ان يمسكها. وعزمت ان تتبه الى هفواتها الكثر.

- اني اكره ان اسحقك تذكر اخبار مغامراتك العاطفية.

دهشت مما قالت. كانت تريد متابعة الحديث وحسب.

- لان تكراري يذكرك بأني أصبح في اضطجاعك. ويذكرك ايضاً بانك كنت تتمنين بكل قوتك ان تتزوجيني...

كان هادئاً جداً وهو يتكلم. ولكنه لم يتم كلامه اذ قاطعته:

- انت اجبرتني على الزواج! وانا لم ارغب في الزواج منك لأني احب شخصاً آخر!

- لا تحبين شخصاً آخر. اذا كان هذا صحيحاً فكيف استطعتين بوجودك مع رجل آخر؟

خفضت رأسها خجلاً امام هذه الحقيقة الصارخة.

- هذا لأني...

توقفت ورأسها بعد منحنٍ. فسحك هو وأتمّ جملتها:

- ... انك تتحقرين اني.

رفعت رأسها ورأت ابتسامه الغارة. قالت:

- سأتألم حتى من هذا في يوم من الايام.

- لن تتحرري من ذلك. عرفت منذ اللحظة الاولى التي وقع نظري عليك في المستشفى ان ... ان تكوني لي... الى الأبد.

تناول يدها ونظر الى خاتم الزواج الذي في اصبعها:

- هل من الممكن ان تتحرري؟

لم تدر كيف اجابت كما ينتظر، لأن فوة خفية دفعتها لتقول ذلك:

- كلا بالبون. لن اتحرر.

- هذا هو التعقل بعينه. ارجو ان تبدلي الآن وتلبسي الثياب الفاخرة التي اقدمها لك.

نظرت اليه بعينين باكيتين وقالت:

- لا حياة لي. انك حرمتني من سعادتي الآن وفي المستقبل.

اطبق يديه بقوة ولكنها فسرت ذلك بأنه دليل على انفعال داخلي لا على غضب ورأت شرياناً في عنقه ينبض والشمس تعكس نورها على صدغه الأشيب فتحوّله الى لون الفضة. جعله هذا يبدو اكبر من سنّه الاحدى والثلاثين، وربما يعود ذلك الى حياته الماجنة.

نظر هو الآخر اليها وثبت عينيه في عينيها وراحا يتعمقان. بدا كأنه يريد ان يتكلم ولكنه بدلاً من ذلك ادار ظهره اليها وذهب ليركع أمام نافذة حزينة باسمة. كان يؤلمها ان تكون مع هذا الرجل الذي هو سجّانها...

ظلت برهة وهي على هذه الحال ثم اخذت تتحول في اتجاه الغديرة يدعها احد السجانين من كتب خاصاً مخولاً لتنظيف الحمامات وفي اليد الاخرى كان يا وهو يتمتم او يغني.

تهدّدت حسرة وندماً. كانت قد قالت لزوجها انها لن تتحرر، وها هي الآن تفكر بالحرية. ولكنها عندما تكون بين يديه تبدو مسحورة بقوة مغناطيسية تجعلها تستسلم لكل رغباته ونزواته مثل دمية تسيّرها الخيوط.

وعندما تكون وحدها ترى زوجها كضحية عابرة دخلت حياتها ولم يعد لها اية اهمية. وعندما فقط يمثل وجهه تفكيرها بأن جاذبية وسخرية ليون يجتذبان عنها. وتعود تفكر في بيتها الجديد الذي وضعته مع جيفد وذلك الذي اشتريته بعناية فائقة وكل ذلك بعد دراسات وابحاث وزيارات الى المخازن لاختيار الصنف واللون والشكل. كانت ايضاً حفرة تلك التي كانا يقضيانها معاً لتجهيز عش الشقيل وكم يتولاها الحنين لتلك الساعات الغالية عندما كانا يتحولان في المخازن وهو تمسك يدها أو يخطفان حياتها القبلة بحب واخلاص...

والآن... هل سيجتمع بجيفد مرة اخرى اذا بحثت في الغرب؟ واذا هي هربت، هل ليون ان يطاردها، وليوناليود لا يزمون بالطلاق. ولكنها فكرت فجأة في احتمال ان يكون هناك مولود وأحداها هذا الاحتمال.

كلا، لا تريد مولوداً بالرغم من تأكيد ليون على ذلك، لأن هذا يعني نهاية أملها في الغرب...

خاطبت نفسها:

- لا يجب ان افكر في ذلك. يجب ان افكر في الغروب. اذ كلما خال مكوثي هنا كلما زادت احتمالات ارتباطي بجفل.

وبينما كانا يتناولان طعام العشاء في ذلك المساء رآها ليون صامتة تفكر. قال طالباً منه انها تفكر في ديفد:

- ان الاوان لأن تطردي الشخص الآخر من رأسك. انا زوجتك وكلما اسرعت في ادراك هذا والتكيّف به كلما كان ذلك افضل.

أمعنت عليها تجهّم وجهه وكلامه ما كانت تفكر به. واقرّت تارة في نفسها بأن ليون كان يبدو جذاباً في طقمه الداكن ذي اللون الاخضر الخفيف. وله هيئة مميزة لا توجد الا في هيئة الاشراف. ومن ينظر اليه يرى فيه سيداً متفوقاً له دعابة خاصة. بالاضافة الى قامته الفارعة الرشيقة كقامات أبطال الرياضة الذين لا يزيد وزنهم غراماً واحداً عن الوزن المطلوب.

لم تطل التفكير فاجابته:

- ان يخرج ديفد من حياتي. انه الرجل الذي احترته زوجاً لي. الرجل الذي اعرف اني استطيع ان احبه وان اكون سعيدة معه طيلة حياتي.

- لو تزوجته لأصبحت أتعس النساء!

كانت لصوته رنة من لا يعرف الا الأمر والنهي. وقامت تارة قبلها لتعلّق على ذلك لكنه قال:

- انا عطيت كل هذا، فلم لا تفعلين؟

- الحب اساس الزواج. لهذا لا يمكنني القبول.

- انتم الانكليز عاطفيون... والانكليزيات بصورة خاصة. تولي في بركك، كم يبدو هذا الحب؟

- الحب الصحيح لا يزول، ولكنكم معشر البريطانيين لا تفهمون ذلك. الحب والعناية هما اهم شيء في الحياة الزوجية.

- والانسجام الجسماني، أليس مهماً هذا الأخر؟

- ربما...

سألها مستخبراً:

- ربما؟ قولي بصراحة، أليس هذا أهم شيء في زواجنا؟

- هو الشيء الوحيد في زواجنا.

- والذريات؟ معظم النساء يكن سعيدات لو حصلن على ما لديك الآن اذا لمسكت به ولم تبرمي. استطيع ان امنحك أعلى مستوى من الترف والعيش الفخم... انظري الى بيتنا مثلاً... لقد كنا وعدنا ثلاثين معي الى الهنا ستعيشين في شقة فخمة وستكون لك سيارتك الخاصة.

- كل ذلك... ولكن بدون حب.

- احبريني. كم عدد صديقاتك اللواتي تزوجن عن حب... وبعشن سعيدات بحيهن فلط كما تتصورين؟

تطلعت اليه، لكنها لم تقل شيئاً. تذكرت سو وهي تعدّد لها الواجبات التي ستمت لو هي مهددة بالانهيار. انه لخيف حقاً، ولكن زواجها بديفد سيدوم لأن حبهما قوي ثابت.

- ما هو جوابك على ذلك؟

- يمكن ان نحب ان يدوم.

- الا تعرفين استغناء لك هاتين في حياتهم الزوجية؟

لم يكن سؤاله استفساراً، بل تحدّياً. واضاف يقول:

- نحن هنا في اليونان. نحن هنا نتزوج لإرضاء الغريزة والانتاج الاولاد. وتزويج الاولاد في القرى ما زال من مسؤوليات الوالدين الذين يعرفون ما ينفع لأولادهم.

- فقدا الزواج بالتسوية والمساومة!

- انسي الحب وارضي بما لديك. وعندما تعودين الى وشدك ستكون سعيدين حقاً.

- تذكرت الآن انك قلت ان القيم في حياتك.

- قلت ستكون الخيارة الفضل مع الحب ولم أعن الحب الجامح الذي يغنى به الشعراء والكتاب. في نظري ان الحب علاقة واقعية.

ابتسم عند هذه الكلمة وتابع يقول:

- انا الحب الذي تسمع او تقرأ عنه فإنه سخافة.

- ستزى ان الكثير يتقصك في الحياة. استطيع القول انك ستحد فيها متعة حسية لا اكثر.

- انت كلبة صغيرة يا نازا. لم أعد اتحمل مهاراتك المسمومة دون ان ازد لك الكيل كيلين.

اعدا يأكلان بصمت. وكان ليون يظهر اعتداداً وانتباهاً عظيمين. كان لشعرها لون ذهبي لأنها تأخذ حمام شمس كل يوم. وحلقت شقرة شعرها والخصل التي تتوج جبهتها العريضة الدالة على الذكاء. عيناها واسعتان لكن حزينتان وفمها يرتجف بين الحين والحين متأثراً بما يجول في فكرها. رأسها صغيرة وبلا جول امام بسطوته. وكانت تنظر اليه احياناً فترى عبوساً في وجهه او شروداً في عينيه يدلّ على انه غارق في التفكير.

- سأمضي حتماً عشاء صغيرة الاسبوع القادم.

قال ذلك كأنه لم يتخذ هذا القرار إلاّ الآن.

- أن الاوان الآن افخر بوجود زوجتي الجميلة.

- قد تستعون بهم في القرب!

نظرت اليه مستغربة من عبارتها وقالت:

- هل تعتقد انك هذه التجارة؟

- يا خلقاني الصغيرة. هل تتصورين حقاً ان اصدقائي سيقصدون الى اذعائك باني اعتطفتك وتزوجتك بالقوة؟ قد يشكون في قواك العقلية.

تضايقت من سخطه. انه دائماً على حق. كم تكرهه! وبالرغم من ثقته التامة في استحالة هربها... فانها ستشعر له انه غطرسي.

قبل حصة العشاء بنصف ايام اشترى ليون صحناً فارغاً ووضعه على السرير. سألته من اين اتى به اذ كانت ترتاب في انه قد يكون أحد صحائن صديقاته. قال ضاحكاً وكأنه حُرّ شكوكها:

- لا اعمل شيئاً كهذا لزوجتي بالذات. هذا تحامل الميرك، ومستحيل لك.

نظرت اليه نظرة فضول واستيضاح:

- هل تحترمني؟

تردد قليلاً قبل ان يجيب بسرعة وبدون انتباه:

- اكثر من احترامي لاي امرأة من قبل.

ثم قال مشيراً الى الثوب:

- اشتريته هنا في الجزيرة. وهو بالماس الصائنين الاخرى.

- في الجزيرة؟ هل في الجزيرة تجارة ازياء؟

- توجد شياطة في القرية... مارغاريتا. هي التي تصنعه حسب تصميمي.

ثم نظر اليها وابتسم:

- سامسح لك بزيارة القرية اذا وعدتني بعدم الهرب.

- لن أعدك مطلقاً...

كان جوابها بدون تردد. الا انها نظرت اليه بعينين واسعتين وقالت:

- هل تثق بي اذا وعدتك؟

شعرت كأن قلبها سيقفز من صدرها لشدة حظائه. فهذه فرصتها. ستعده وسيثق في وعدها وستكون هذه طريقها الى الحرية... زوارق النقل متعددة بين الجزيرة وبيراوس. وهي تراها من بيتها.

ضيّق فتحة عينيه لأن دخانه كشف له عن نواياها فقال:

- اذا وعدت يتحتم عليك ان تلتزمي بوعدك.

- ماذا تعني بذلك؟

- لا شيء. كل ما هنالك اني اثق بك.

- كثق بي... الى هذا الحد؟

هزت رأسها غير مصدقة ما يقول واضافت:

- لن ترتكب هذه الحماقة!

- اعرف انك لن تخوني وعدك. انا مستعد ان امنحك حريتك اذا وعدتني فقط.

كان يتكلم واثقاً. اما هي فلم تجب، وكان فكرها في فوضى. حتى سيتي بها حقاً؟ ينبغي ذلك مستحيلاً. من المؤكد انه لن يحتجزها عندية الشرف اذا هي وعدته وحنثت بوعدها، اذ لزم ان لها مطلق الحق في عدم تنفيذ وعدها... وستفعل كذلك. ثم تساءلت: هل سيفعل ذلك حقاً...؟ والآن...؟

هزّت رأسها وقالت:

- كلا. لا استطيع وعدك بذلك.

- ربما فيما بعد.

وتحول الى موضوع الحياكة وقال:

- لذلك مارغاريتا مصمماً صغيراً في نهاية البناء. إيرينا ساحرة في العمل.

واتا الدرس لمكانية ضمّها الى مؤسستي.

توقف قليلاً كمن يستريح ثم اضاف:

- ستتعرفين على إلين في حفلة العشاء. انها اجمل واذكى من جميع لداجما.

لم تفهم تارا لماذا اصابتها قشعريرة برد حقيقة في ظهرها.

- اوه... أعني يوناياه؟

- والدها يوناي ووالدتها الكشرية.

وبحركة عادية رفع الفستان واحد بالمس الاجزاء الطرازة فيه. اعجبت تارا بخبرته حتى في طريقة حمل الفستان بين يديه. وبدا لها غير ذلك الرجل العنيد المتغطرس. ثم حوّل نظره من الفستان الى قوام زوجته الرشيق والى وجهها وشعرها.

- كان يجب قص شعرك. فكّري ان اتصل بمصفف الشعر ليأتي غداً.

توهجت عينا تارا وصرخت:

- لن اسمح بذلك. أحبّ شعري كما هو!

لم يؤثر غضبها فيه طائلاً:

- شعرك لا يليق بك هكذا. ولا بالشكل الذي سأكسبك اياه، وخاصة بهذا الفستان.

- انت تلبسني كما تشاء؟ هل تعتقد اني عبدة بلا ارادة وطريقتها اطاعة سيدها وارضاؤه؟

وقالت بصوت خنوق:

- فكر فيما اقول مليّاً. ان البس كما يشتهي الغير.

- تظلين غير آبهة كالقطط. انك لم تلبسي الاّ ما قدمته لك، حتى الآن.

- لأنه لا خيار لي.

- ولذلك سنلبسين ما اختاره لك. ولكن اذا وعدتني بعدم الهروب ستمكنين من زيارة محلات الازياء في البلدة وستختارين ما يطيب لك.

كان فمها يغلي في عروقها. هو يلبسها كما يشاء! ولكنها امسكت عن الكلام، غير انها صممت الاّ تلبس الفستان الذي بين يديه.

وفي مساء حفلة العشاء استحمت تارا واخرجت فستاناً آخر من خزانتها. ولكنها تأملت الفستان الذي يريد منها ان تلبسه فوجدته فعلاً غاية في الكمال. كان بلون الفرفخ الزهري له بطانة حمراء حقيقة تظهر

من خلال فتحات التطريز. وكانت الكمامه طويلة تبدأ عند الخصر بثنيات متعددة واسعة. جزّبته في الصباح بعد قص شعرها ورأت انه يزيد من جاذبيتها... فركت ان اليوم يملك بصيرة حادة تؤمّن النجاح لأي شركة ازياء.

- لن البسه! وأي يغرض ارادته علي؟

ليست الفستان الأحمر. وكانت واقفة امام المرآة عندما ان اليوم من الغرفة الثانية يرتدي ملابساً من الكتان الاخضر الباهت وقميصاً ابيض في صدره ثنيات. وتوقف فجأة عندما رأى فستان آخر بين يديه.

- ماذا جرى؟ هل حدثت شيء للفستان؟

- ليس به اي شيء.

هذهي الثور الفور كما يحدث هنا عادة.

- لن البسه، هذا كل ما في الامر. افضل عليه هذا

تعرف انها كذابت عليه.

- بالك من...

وقف امامها كالجبار وقد اسودّ وجهه من حدة الغضب وقال مهدداً:

- احضريه حالاً! هذا ليس فستان سهرة...

- اعرف ذلك، لي شيء من قدرة التمييز.

- اين الفستان الآخر؟

كان احداً يقليق الا انه كان قلقاً.

- في الخزانة. لن البسه.

كانت تقاوم حتى وهي ترتجف.

- اقسم بالله انك ستلبسينه. احضري هذا والاّ اجبرتك بالقوة.

تراجعت مذعورة واحد الدم يتلاشى من وجنتيها وخافت من انه سيضربها.

- إياك وان تلمسني. انا...

لم تكمل عبارتها لانه بحركة عصبية مزق الفستان الذي عليها من بالله الى طرفه الاسفل تقريباً.

وقبل ان تتحرك خطوة واحدة انتزعه عن جسمها كلياً فقابلت ملابسها الداخلية. والتار بياه نحو الخزانة وصرخ قائلاً:

- اريد الفستان الآن. الآن يا فارا والا . . .

وبالرغم من غيظها الذي غمرها كالطوفان توجهت الى الخزانة تفادياً لضربة قد يوجهها اليها.

- لا . . . لا اريد ان . . . ان البسه.

كانت العبرات اغلتها فبكت مثل طفلة.

- ارتديه!

بدأت تلبسه طائعة والدموع ما زالت تسيل من عينيها.

- حسناً هيفاء. ان غريودا سيكونون هنا بعد جميع دقائق. فلا تتأخري. وخرج تاركاً اياها في حالة لا تطاق من الغيظ والقهر.

- الزعيم . قد كتلته!

وقعت الأسماء بين يديها واخذت تبكي.

- كيف استطيع ان اعتمد في حياتي على انسان . . . لو استطيع ان ارسل له رسالة واحدة . . .

كفت عن البكاء خوفاً من بطش زوجها وغسلت عينيها. كان منظر وجهها بشعاً عندما اطلعت في المرآة.

فكلمتها الخطيب مرة ثانية وتغلب على حذرها فأصرّت على عدم ارتداء الثوب، ولن يتمكن ليون منها هذه المرة. أخذت تتزعه عنها بتمهّل وبحركات جنونية حاولت تزيقه ولكنها فطنت الى مقص الأظافر فتناولته واخذت تزقه قطعاً صغيرة.

دخل عليها ليون ووجدها في عباءة نوم.

- ألست جاهزة بعد؟

ولكنه ذهل عندما وقع نظره على الفستان الممزق ولم يصدق ما رأت عيناه. ولمزيد الغيظ بدأ لم تبال لما قد يفعل بها، فأخذت تقطع الفستان وترمي قطعه في وجهه.

- قلت اني لن البسه وكنت جادة في قولي. انا ليس ما اعتقده لشخصي . . . يجب ان تفهم ذلك!

كان كله شعلة من الغضب. ازرقّ وجهه واتقدت شرايينه فهجم عليها بحدة القط واعد يزّها هزّاً عنيفاً سريعاً دون توقف جعلها تحس بضربات مطرقة داخل رأسها. وظل على هذه الحال الى ان اعد يلهث من

التعب فتوقف. لكن عباءة البيت وهي خفيفة جداً ممزقت والتزقت من عل جسمها فأخذت تستر نفسها.

- ماذا ستلبسين الآن؟ ليس هناك ما يلائمك.

سمعت استانه تصطك ورأته يبطر الى ساعته. ولم ليال هي بما ترتديه او لا ترتديه. فقد تعودت منذئذ نزل التصاعد فما عليه. كان ليون امام الخزانة يبحث بين الفساتين الاخرى بينما كانت تارا تنتظر وهي تصغي الى الجلبة الليلية بين الأشجار. وجد ثوباً في نهاية الأمر. كان ثوب سهرة هو الآخر بلون الفيروز الازرق. كانت تحب هذا الثوب ولكنه ليس على ذوق ليون الذي يريدها فستاناً خاصاً عند الحفلة

- ليس هذا. انه افضل شيء.

اخذته بصيرته هذه المرة. مستيقظ عن اي رغبة في فستان يعيد نظرة الاعجاب. وقد يهدئها عليها هذا. بانه لا يحب ان يراها احد سواه الى . . .

٨ ـ عذاب في الفردوس

عندما غرقت تارا من غرفة نومها كان هناك ضيفان وصلا قبل غيرهما واستقبلتهما ليون. وكان متعاقبان عند الباب عندما دخل الشاب والفتاة. فالتقى متعاقبان الباب وتناول من الفتاة معطفها الفرو. حاقدت تارا في جمال هذه الفتاة التي لا يبدو فيها اي عيب والتي عرفت فيها عارضة الأزياء التي تكلم عنها ليون. كانت الفتاة طويلة وساحرة في لباسها المكون من فستان صمّم ليبرز مفاتن جسمها. ورأت فيها رمزاً لعوالم الأناقة. وكانها قارنت فستانها بفستان الفتاة وبدت لو تقصى عن الانظار نظراً للفرق الكبير بين الاثنين. صمم ليون فستان هذه الفتاة كتسريحة رائع يضفي جمالاً على جمال وجهها وجسمها كما يراها هو. فهمت الآن شعور زوجها وحدقتها في اللباس الثوب الذي اراده ان يكون ارقى تخاجه تصميماً.

رأت تارا الحريق في عيني ليون وهو ينظر الى الفتاة ثم اليها.

ـ اليس، أعرّفك على تارا، زوجتي.

مدت الفتاة يدها وهي تلقي نظرة فاحصة حبيبها السوداوين على ثوب تارا. بالطبع لن تستطيع تارا ان تقرأ افكار إلين التي تعرف كيف تخفيها عند اللزوم.

صافحت تارا تلك اليد وهي تشعر باحساس خليدي يلفّ جسمها، فقد احست تارا بعداء هذه الفتاة نحوها على الفور.

ـ في الشرف.

قالت الين ذلك والتفتت الى ليون انتهه:

ـ انها فاتنة حقاً! كانت معشتنا جميلاً كبيراً. ولم أصدق عندما اتصلت بي لتزف الى الخبر.

رد ليون على ذلك بابتسامة بارزة. ثم عرّف زوجته على رفيق الفتاة، **نيقولاوس كاليوجيس**. كان متوسط القامة، له شعر اسود كالليل وعينان كستنائيتان. يناهز الثامنة والعشرين ويملك سفينتي ركاب ومزارع زيتون شاسعة. تناول يد تارا واحتفظ بها مدة اطول من اللازم. التقت عيناها بعينيه ونولاها شعور لم تفهم سببه. الا انها رأت في عينيه نظرة صداقة فورية كما رأتها في شقيقه المتقلبين.

ـ انا سعيد بالتعرف عليك يا تارا.

لفظا باخلاص وهو يغفر بنظره من الين الى ليون. وتوجه بالكلام الى تارا مرة واخرى:

ـ كيف استطعت التغلب على مناعة هذا الأعزب العنيد؟

تورّد وجهها وتكلمت لم تجب، وهي تعي تماماً كن نظرة الين الشرقية تعني ان ليون لم يتزوجها لمناعتها وتوقها التسليم.

تصايقت تارا داخلياً من احتمال قد الين لأنها لا تظهر بالشكل الذي يليق بالقام وهي زوجة لأشهر مصمم أزياء.

وصل ضيفان اخران بعد خمس دقائق واخصيا الى باقي الضيوف في غرفة الجلوس حيث كانوا يتناولون القبلات. الضيفان رجل وامرأته وهما اكبر سناً بكثير من إلين ونيقولاوس، وقد احتياها تارا كما احيت ضيفين آخرين هما جوليا وكريستاكيس ميلاس. لم تمل تلاشرك في الحديث فكانت تسمع

فقط. وكان آخر الضيوف الذين وصلوا أخي ونوكيس شاخيس، وأخي هذه كما من العمر خمس وأربعون سنة. وحدثت تارا عندما علمت بأن أخي متزوجة مع زوجها حقاً ووددت لو تعرف كيف رفعت نفسها الى هذا المستوى في بلد يقمع المرأة دون مستوى الرجل.

وعندما قدم ليون زوجته الى نوكيس للتعارف قال هذا الاخير وهو يبتسم في وجهها:

- هذا مثير حقاً. ليون مزدوج... ولم يعلم اي من اصدقائك الا من قريب او بعيد بنيته في الزواج.

كان لفظه وهو يتكلم الانكليزية كلفظ زوجته القرب الى اليونانية منه الى الانكليزية بعكس إيلين وليون اللذين يتكلمانها بطلاقة. وسألت أخي ليون اذا كانا قد تعارفا مدة طويلة. ولاحظت تارا ان التكلمة توسعت بنظرها الى الفتاة الجميلة التي كانت تجلس متربعة على كرسي قرب النافذة ووراءها الستائر الناعمة التي زادت من جاذبها الساحر. اجاب ليون:

- كانت مدة التعارف قصيرة، وكانت لحظة من تلك اللحظات التي يحدث فيها الانجذاب المتبادل من اول نظرة.

قال ذلك وهو ينظر الى زوجته التي كانت تعرف ان فترة من كلامه لم تكن صحيحة. والصحيح هو انه هو الذي انجذب وهي التي نفرت منه عند النظرة الاولى. وتابع ليون كلامه قائلاً بصوته العذب:

- وهذا السبب لم يكن امامنا سوى الزواج.

اطبقت إيلين شفتيها وصاحت الى الامام فتراجعت سيكارة من الحلبة. تساءلت تارا كم من المرات قامت إيلين بهذه الحركة قبل الآن. واسرع ليون فأشعل لها السيكارة. ولاحظت تارا كيف تقابلت أعينهما. ولكنها لم تلاحظ فيها اي تعبير خاص.

كانت حفلة العشاء هادئة وكان نيكولاوس الجالس قبالة تارا يحادثها معظم الوقت بالرغم من النظرات الخفية التي كان ليون يرميه بها. رأت تارا تلك النظرات الا انها لم تعبأ بها فتابعت حديثها مع نيكولاوس الذي فضلته على الضيوف الستة. وما انت السهرة على نهايتها حتى قام بينهما نوع من الرباط لم يعرفه مدى حياته أو تأثيره في هذه المرحلة. الا ان تارا كانت متأكدة من انها ستلتقيان مرة ثانية... ولكن وحدهما...

وكما توقعت كان ليون غاضباً. اذ ما ان رحل آخر الضيوف حتى عاتبها على استفزاز نيكولاوس دون باقي الضيوف في الحديث. واتهمت تارا بفكرها الى إبن الى استفزازت زوجها في عدة مناسبات وعزاته بداية لفت نظره الى الفارق بين مظهرها ومظهر زوجته. فحسبت تارا هي الاخرى دون ان تعرف الدافع، فهي لا تغار من الالفة الموجودة بينه وبين إيلين الجميلة.

- قمت بتعطلات الجاملة المقطعة. الا توافق معي على ذلك؟

- كنت اتوقع منك ذلك تجاه الجميع. ولكنك كرست وقتك لنيكولاوس فقط.

- اي عمل اقوم به لا يعجبك. اعلمي ولو مرة واحدة بعمل يروق في عينيك حتى اسمعه.

- انتهى. مزاجي لا يتحمل اي شيء الآن.

- كان نيكولاوس لطيفاً وظريفاً، وفي كل الاحوال اظرف من صديقتك إين.

لم يظهر على وجهه اي انفعال غير انه سألها:

- الا تنسني بإيلين؟

- كلا، لم اعلم. كانت تنظر اليّ كأني أتى عملاً مشيناً.

- هذا بسبب فستانك...

- وبس اشتري هذا الفستان لي؟

- ولكن ليس لمناسبة كمناسبة هذه الليلة. ولكل مناسبة فستانها الخاص، وهذا ما يجب ان تتعلميه.

- هذا سخيف. ليس الانسان ما يروق له.

- انت زوجتي ويجب ان تكوني مثالاً للغير، وان يكون ملبسك في منتهى الكمال شكلاً ولوناً وزياً.

- هذا حديث الخراء! كانت فتاة عامة عندما دفعتني الى هذه الليلة... التي اكرهها!

- كادة!

كان مزاجه هادئاً ومتزناً كما اثار اعصاب تارا. كم تتمنى لو تخطئ بقوة لارادة قلقرة ارادته في ضبط الاعصاب.

- اشعر اني اريد ان اذهب للفراش.

- هذه صادرة تحديي.

لم تفكر في ما فكر به وقالت بغضب ظاهر:

- اريد ان ابقى وحدي... ولو مرة واحدة.

- كانيا؟

ولم يترك لها الوقت لتتكلم اذ انه احتضنها بين ذراعيه وعانقها بشراسة قائلاً:

- نحن، يجب ان نذهب الى الفراش.

وقفت تارا عند النافذة تنظر الى الافق البعيد. هناك، ما وراء الافق، وطنها الكلترا وديفد... احتلت الكلترا الجبل هنا وهناك وتذكرت شيئاً قالته إلين عندما كانتا جالستين معاً على الديوان في احدى خطفات الخفقة:

- لم يتوقع اي منا ان يتزوج لبون بهذه السرعة، والكل يأمل الا يندم على ذلك.

كان هذا الكلام مع صراحته دون اي تأثير على تارا. ان علاقة لبون بليزون اكثر من علاقة حارسة فزراء لتضخم فزراء. لبون لها الآن كيف كان الضيوف ينظرون اليها بتلطف واعجاب وربما يتساءلون عما وجد لبون في هذه الانكليزية حتى يتزوجها بهذه الصورة الفاجئة.

وكان نيقولاوس وحده الذي انسجم مع تارا منذ اللحظة الاولى وربطت اسمه بفكرة الحرب.

قال لها ذات الحديث انه يملك يختاً مريحاً وهو موجود في الميناء. وليت لو تستطيع ان تمر بخمه بين الزوارق واليخوت الراسية هناك. وأملت في ان يصيدها هذا اليخت يوماً ما الى حريتها. كان الميناء يغلاً بالوان الزوارق واليخوت وفي خارجه تحوم زوارق الصيد. وحين يظل القمر من بين الغيوم يتحول سطح الماء الى مرآة لامعة تتدثرها خلال يلعب بها النور في سحر طبيعي خلاب. كان من شأن هذه بجزيرة الفردوس على حق.

ذهبت تارا الى الحائط فوصل الى انفها أريج الازهار الذي كان يغطي بوابة شجر الصنوبر.

وفجأة رأت نفسها تتطلع الى عالم لا نهاية له حيث لا توجد اشياء حقيقية او اشياء حسية. ديفد ليس موجوداً واقترب لم تعد له تلك الاهمية. كما لم تعد اهمية للماضي او للمستقبل. ولكن في الوقت نفسه احست بوجوه

شيء حقيقي في الغرفة. استدارت ورأت زوجها واقفاً على مسافة قصيرة منها يرمقها بحدقتي وذئبه الرشيق. ولاحظت ان صباغة الثوم التي كان يرتديها لم تكن مرورية من الأمام فكانت هي صدره. لون وجهها عندما واجهها بسؤال وجدت فيه قوته السحرية كلها:

- أنت مستعدة لي يا زوجتي؟

تنهدت وهزت رأسها بالنفي. ولكنها لم تقاومه عندما جذبها اليه.

- هل ما زلت عند قولك بأنك فضلتين البقاء وحدك الليلة؟

كانت عيناه تأكلانها أكلاً وابتسامته تدل على انه يتوقع كالعادة ان يتغلب على اية مقاومة قد تبدر عنها.

كانت تكره هذه النظرة كما تكره قبضتها واستسلامها لسطوته السحرية. وتشمئز من شعورها بالقصر على ارادتها وحرية التلاعب بها كالدمية دون ان يكون منها حتى ارادة في صده.

- اجيبني يا تارا!!

كان يصر على سماع ردها. رفعت اليه حينين رأى فيهما توسلاً كي يتابع ما هو بتم عليه.

- لا يا لبون... لا اريد ان... ان ابقى وحدي...

* * *

ماذا جرى هنا؟ سألت نفسها هذا السؤال عندما امرها زوجها بارتداء لباس سباحة من نوع خاص بأطفاله. اذا كانت تقاومه في السابق بعقلها اصبح عقلها مستسلماً لحسمها الآن ومع مرور الزمن وتكرار هذه الطاعة العمياء تمشي تارا الا تستطيع ابداً الرجوع الى الوراء. تعرف قوة جاذبيته هنا وقوة جاذبيتها له وبعدا هو موضع ضعفها. قد انها تقاومه في وضح النهار ولا تفكر مقاومته في عتمة الليل، ولكن مقاومتها بدأت تضعف حتى في وضح النهار. وليون يعرف متى وكيف يجعلها تطيع كعبدة بلا روح. ويعرف انها عندما تكون بين ذراعيه تطيع كل امر يصدره اليها. ولكن هل يعرف انها تخافه وتخاف استبداد ذراعيه في النهار؟

امرها الآن وفي وضح النهار بأن ترتدي لباس السباحة ورأت عينيه تحدرانها من الرفض، فتكررت بضعف مقاومتها الجسدية والالم الذي تشعر به كلما هزتها يداه القويتان من كتفيها. ومع ذلك كانت تتحداه له.

اما الآن فقد وصلت مقاومتها الى حد تستسلم ليس فقط بالجسم بل بالعقل والروح ايضاً.

ولأنها عندما أراها ثوب سباحة اصغر من قبضة يدها اراد ان يتقدم منها ويهزمها هنا على انه هو السيد القطاع. فرضيها على ان تلبسه امامه. احضر الثوب وقال لها:

- انزلي الى الحديقة الآن، ولكن لا تحرضي للشمس كثيراً.

سألته اذا كان سيأتي هو ايضاً، وتمنت ان يرفض لأنها تفضل ان تبقى وحدها في الحديقة، فالوحدة يلسم لها عندما تخلو بذكرياتها الماضية. بدا لها في كثير من الاحيان انها تستطيع ان تنسى وجهه ورأسه المحلوقين وزراعيه بالقوة. ولكنها لم تستطع عندم فكرة ان يحتدها ليون مرافقة له اذا هي رفضت الزواج منه فيقاد بها الى الشارع حتى شاء اذا ضجر منها.

علما كان ليون لا يجد فرقاً بين امرأة في بيته لتكون زوجة له وامرأة تسلّيه، فلماذا تزوجها اذن؟

قطع صوته تأملاتها عندما قال انه منتظر في مكتبه. ولكنه كان ينظر اليها بشوق، ورنّت في اذنيها عبارته التي تقول بأن جسمها ملك له وله

الحق في التصرف به كيفما يشاء. وتساءلت اذا كانت نظراته تعني انه يفكر في اصطحابها في تلك اللحظة. اذا كان هو مستعداً فلم تكن هنا أية رغبة في ذلك. ولكي تتخلص منه احدثت تبعث عن عباءة الحمام. وخوفاً من ان يدفعها عليها احضرها وضمتها اليه ولم يتركها.

كانت متمددة على كرسي بحري طويل عند المسبح حيث يصل الى سمعها أزيز الحشرات في اغصان الاشجار وصوت معول البستاني وهو يعمل هنا وهناك من حولها وهو يراقبها كي لا تهرب حتى في ثوب الحمام والعباءة التي لا تستر كثيراً.

مضى عليها نصف ساعة وهي مستغرقة متناعسة عندما افاقت على صوت زوجها.

- رائعة! رائعة جداً!

ابتسم للأول مرة نرى على وجهه هذه الابتسامة.

- هل استطيع مجالستك؟

- من يمنعك؟

واشارت بيدها الى كرسي طويل آخر يبعد عنها قليلاً. لم تتحجبه طريقتها في استقباله وقال بعد ان تلاشت الابتسامة:

- لا تكوني كالكلبة. من الواضح ان غير مرغوب فيّ هنا.

قال ذلك وجلس. كان لابساً سروال السباحة وقميصاً بسيطاً لا يخفي عضلات ذراعيه وصدره. حتى وهو في هذا الملبس كان عزيزاً. نظرت الى عينيه الحادتين ووجهه البرونزي وتمنّت الظنين بذكرايا بتكي لمثال اغريقي قديم. ونظرت الى فمه بشفتيه الممتلئتين. ودون ان تفكر وجدت نفسها تقارن بينه وبين دفيد، ولم تر فيهما تطابقاً مشتركاً... لا يستطيع الانسان ان يقارن الامر بالعمل.

فكرت في ان توجه له سؤالاً يراودها منذ مدة:

- لماذا تزوجتني يا ليون؟

وقد التفتي بالنظر اليها بحدة دون ان يجيب، اضافت:

- لم تكن بحاجة الى الزواج.

كانت تتفحصه بانتباه كبير.

- كنت تملكني حتى قبل الزواج، وكان في امكانك وانا في قبضتك ان تسل

بي بغير زواج وتخلص مني متى وجدت واحدة غيري.

كان يظن ان السكاني الذي له وجه لا يدل على اي انفعال او عاطفة.

- الاحتفاظ بك من دون زواج كان مستحيلاً في هذه الظروف.

- ماذا تعني بذلك؟

- لا تنسى اني احتفظت... فاذا ابقيتك في بيتي بغير زواج ومن ثم تخلصت منك تستطيعين سجني. اما الآن لا يمكن لك باياس بأي شيء ولذا كان الزواج ضمانة تحميني من التلاعب.

- ماذا تعني بقولك انه ليس لدي اي قضية لو شكوى ضدك؟

- انت تزوجني بإرادتك وانت الآن زوجتي... ماذا تستطيعين ان تفعلي فيما لو تكلمت من الاعلان مني؟

- سأذهب الى الشرطة طبعاً.

- هذا لن يفيدك لأنك وعدتني بالزواج، أنسيت؟ وتزوجتني ولم تخدعني او حتى تلمّحي.

- انت لست بهذا الذكاء كما تعتقد. سأقال منك يوماً.

- اما زلت تحلمين بالهرب؟

- طبعاً.

- ما أحمقك! ألم تفكري بأنك حامل؟

نظرت اليه والدم يصعد الى وجهها

- كلا، لا... ماذا يؤكد لك ذلك...؟

- انا لست ابن البارحة. انت سجينة هنا بانتظار... الى الأبد.

كانت تبكي الآن تأكيده أمنيتها. وبدأت تصدقه بالرغم من ميلها الى انكار هذه الحقيقة. ابن العدالة في كل هذا؟ لماذا فرض عليه هذا الزواج الملعون؟

- لو تعلم كم اكرهك وأكثر ذلك لتركتني اذهب حالاً.

تجاهل زوجها بكاءها ونحيبها ولمشها بخفة تبكي. الا انه شعر بشيء من العطف نحوها ورأت الشريان إياه يتحرك في عنقه. فقال:

- اذا وعدتني بما تريد يا نانا فسأطلق لك كل الحرية على هذه الجزيرة. اما والحال كما هي عليه الآن، لا اسمح لك ولو بشبر واحد خارج حدود بيتنا. كوني عاقلة وعديني.

- انت قلت اني سجينك... بدون اي شك، طبعاً تصرّ على الوعد؟

- لا اريد ان اجازف بأي شيء قبل ولادة الطفل. لأني اعرف تماماً انك لن تتخلي عن طفلك واعرف ايضاً انك اذا وعدت فلن تحيدي عن وعدك، وقلت ذلك سابقاً.

اخذت تتأمل في قال. لو تستطيع اهرب قبل ولادة الطفل... قالت لنفسها: ولن أكد طفلاً؟ سيعتبر ذلك خيانتي... ولن يقبل بعقد طفل رجل آخر وأن يتزوجها.

قال ليون متحولاً الى موضوع آخر:

- انا ذاهب الى انبا في الاسبوع القادم، وسأحضك معي اذا اعطيتني هذا الوعد.

كان ينظر اليها بعينين متسائلتين وفيهما أمل بأنها ستردّ بالايجاب. هزّت رأسها وقالت انها لن تتسبّك بأي وعد.

- انت أعند امرأة التقيت بها. اريد ان أخذك معي.

قالت بانحطار:

- ماذا كل هذا الازعاج..؟ الا تستطيع ان تجد احدى شغالاتك القديمات وتدعوها تأتي معك؟

نظرت عينا ليون كالجمرتين تشتعلان

- عودي الى البيت!

نهض واتجهها نحوه

- سئمت كل هذا. مستلمرين بفعل يدي على جثتك بسبب ما قلت الآن.

كان يجرها جرّاً وكانت تعرف ان البستاني ينتظرها بنظره. فلم تحاول نظراً ان تقاوم. الا ان قلبها كان يدق بسرعة هائلة ووجهها يشحب خوفاً من ان يضربها بالرغم من انه لم يلجأ الى هذه الوسيلة معها حتى الآن.

لم تتوقع رحمة او شفقة هذه المرة بعد حبرتي السابقة مع بطته. فكرت في ان تتوسل اليه وتكرر الوسل بقربها. وبقربها الأثر من ذلك عندما تكلمش حول نفسها من الخوف.

دخلا غرفة النوم وأغلق الباب خلفه بعنف. ووقف أمامها يفك الطريقة وتنكيبه العريضين ووجهه المخيف.

وتاركها ابتعدت عنه وركضت نحو النافذة وظهرها الى الحائط كحيوان

يحاصره عدوّه ويستعد للانقضاض عليه. رأت انه من الافضل ان تتوسل اليه انه ايها فلذت شجاعتها.

- ليون... ارجوك... لا تؤذني!

- تعالي الى هنا!

تصلب صوته كالرعد واحست ان قدميها ستتوقف. فوضعت يدها عليه والدموع تنهال من عينيها بغزارة. اطبق أسنانه واشار الى قدميه:

- هذا القسم بالله، سأجعلك تندمين انا لم تأتي!

- أ... أنا... لا استطيع... اوه، ليون، ارجوك...

لم يقل شيئاً. ولكنه استمر يشير الى المكان عند قدميه. كان السكون في الغرفة يزيد من عذابها وظلّت واقفة العرق جبينها ويديها.

- سأفعل كل ما تطلبه مني...

توقفت عن الكلام، ورغم ان ما سيفعله الآن هو اصعب شيء لديها فقد اعتذرت له قائلة، ولكنها لم تتوقف عن البكاء ما دام باقي جوفها منه قائماً. وبقي اصبعه يدل على نفس الموضع. بدأت تخر نفسها جراً والرعب يشل مشيتها. كان يبدو عليه انه مستعد لا لضربها فحسب بل لقتلها.

ودمعات تساءلت لماذا هذه القاسة في غضبه... أقرّ بأن له صديقات، فلماذا كل وغضب لمجرد قولها هذا؟ وقال هل ايضا انه يحتربها اكثر من اي امرأة اخرى. فهل يعني غضبه انه يريد ان يتساءن؟ فتذكرت منها هذه الفكرة فانبعث مشيتها وهي تحاول فيه مناسبة انه ربما يمسك بها ويضربها. وإذا كانت تريد ان يتساءن. فهذا يعني انه... لا، هذا غير ممكن، غير ممكن انه بدأ يحترب اليها ويستحيّها... لم يقل مراراً وتكراراً انه لا يؤمن بالحب؟

- واخيراً، قررت ان تعتذري؟

فقد صوته قليلاً من قوته ورأت ان غضبه كان أقل حدّة.

- لقد اظلمت نفسك.

بدأت اعصابها تتمدد وتسترخي وضربات قلبها تخف.

- اظهرت حكمة وتعقلاً. وبالفعل هذا خير ما عملت.

كانت اعظاره تحتربها كأنها كانوا الحيط بكل شيء. شدّها اليه بقوة وقال:

- قلت لك انك اظلمت نفسك من الضرب... ولكن ليس من عنقي!

ظلت تبكي وتألم من هذه المعاملة غير الانسانية، وكان يكلاّ ها ناعماً وهي بين ذراعيه، مستسلماً للهزيمة امام النصر، النبيذ. وفي لحظة الألم والذلة قرّرت ألاّ تعاكسه وهو بهذه القوة التي كانت تهلكها وجعلت صدرها تضربان مثل الطبل. لماذا تسلك هذا المسلك؟ كانت غريزتها في البقاء تستوجب القاومة والأخذ بالثأر. الكرامة هي التي تدفعها للقتال ولكن زوجها تحراها من كل كرامة عندما دفعها الى الاعتذار له.

- سأروضك. فلا كان اليونانيون لا يتحملون العصيان من الرجال فكيف بالحري من النساء؟ انت امرأة لي في هذا البلد وبهذه الصفة ستقدمين لي كل طاعة واحترام.

ورفع رأسها لتنظر في عينيه وقال:

- هل كلامي واضح... يا زوجة؟

اجابته بصوت بدا غريباً حتى في سمعها هي:

- نعم... نعم يا ليون. كلامك واضح تماماً.

- هذا جيد! ربما سيكون عيشنا معاً اكثر هدوءاً بعد الآن.

كانت تخضع له وتستسلم بذلة لم تعرفها من قبل.

- انت تريدينني.

أرغمها على قول ذلك وهي تعرف ان كل حركة وكل كلمة يقصد منها اذلالها واخضاعها وكسر شعورها. حلها ومددها على السرير وفي لحظة لم يتنبه لها قرّرت من بين يديه كالغزال واحتمت في الغرفة الثانية. ولكن لسوء حظها كان مفتاح الباب من جهته هو ولم يكلمها الوقت لتدخ الباب وتزلج القفل. اذ كان ليون أسرع منها فحملها الى السرير ثانية حيث فقدت كل روح المقاومة وغابت عيناه له

٩ ـ لن أراك ابداً

كانت نارا وحدها في الحديقة عندما ان دافوس أحد الخدم ليقول لها ان شخصاً يدعى نيقولاوس يرغب في مقابلة السيدة ليون.

انتفضت نارا ولكنها كانت بخبرتها تتوقع ان تلقى به . . . على الفراء.

ـ ادخله الى غرفة الجلوس، وقل له اني سأكون هناك بعد خمس دقائق.

ـ حسناً يا سيدتي.

نظرت الى البستاني وابتسمت . لم يطلب ليون الى اي من الخدم ان يكون حاضراً اذا استقبلت زائراً لأنه لم يتوقع زيارات خاصة بها.

كانت متأخرة جداً وهي تجتاز ثياب السباحة الى ثوب فيه ثنيات وله طوق أرجواني عند فتحته السفلى. هذا واحد من عدة أثواب اشتراها ليون من محل مارغاريتا قبل بضعة ايام. كلها جميلة. بالاضافة الى بلوزات وتنانير

وأكسسوارات داخلية حريرية. وقفت تنظر الى نفسها في المرآة بعد ان استعملت احمر الشفاه والعطر.

لماذا الى نيقولاوس؟ هذا يعني انه يعرف بغياب ليون. بقي عندما دخلت ونظر الى لباسها الجميل بإعجاب.

ـ لعيناي يا نارا!

مدّ كلتا يديه ورأت ان لا بدّ من مد يديها ووضعهن فيهما.

ـ عرفت ان ليون ليس هنا فأتيت لأراك. لماذا لم تدعي معه؟

ـ هو مسافر في عمل وانا في الحقيقة لا أهتم بهذه الامور.

لم ترد ان تدخل في تفاصيل عدم ذهابها واشارت اليه ليجلس وجلست هي بالقرب من النافذة. كانت خجلة فلم تبدأ بالكلام كأنها ربة بيت عندما تستقبل زائراً. خاصة انها ونيقولاوس ما زالا قريبين، ان كلاً منهما يشعر بوجود هذا الرباط الذي قام بينهما في حفلة العشاء. كان ينظر اليها دون ان يتكلم فتذكرت في ان تطلعه على حياتها الآن. اذ أن شيئاً فيها كان يقول لها انها ستفعل ذلك يوماً. فلماذا التأجيل؟

كيف تبدأ؟ تلزمها مقدمة ما من عندها او من عنده. ولكن كان كلاهما مرتبكين وافكارهما مشوشة. وتنفست الصعداء عندما بادرها نيقولاوس بسؤال عن ظروف تعارفها بليون.

ـ كان هذا السؤال نفسه على طرف لساني في حفلة العشاء. ولكني اعرف ان ليون لا يحب الاجابة على اسئلة كهذه او حتى التفكير فيها.

ـ التقيا عندما كانت افعل عارضة في احد المستشفيات وصدف ان كان ليون مريضاً في احد الجرف بعد ان تعرّض لحادث سيارة.

ـ من الغريب حقاً ان يسرع ليون في الزواج منك بعد هذه الفترة القصيرة من تعارفكما.

ضحكت نارا وندم نيقولاوس على عدم لباقته في توجيه هذه العبارة.

ـ أعتذر. يجب ان افكر جيداً قبل الكلام والا اعتمدت عن الأصول.

ـ هذا لا يهم. وقد أثبت لانك تسرّ بروز بعض كما قلت.

ـ شيء من هذا القبيل. وأيت ان اراك في وحدتك بعد ان رفضت الذهاب مع ليون الى البنا.

ـ فعلاً كنت اشعر بالوحدة. وانا مسرورة بمجيئك وكان لطفاً منك ان تفكر

في.

كشفت عينه عن سروره وترحيبه بما قالت:

- في المسألة سر غامض، ألا تعتقدين ذلك؟

- سر غامض؟

- في زواجك من ليون...

توقف عن متابعة كلامه غير ان نارا شجعته على المضي لأنها تريد ان تعرف المزيد، فقالت:

- تابع، أرجوك. يهمني ما ستقوله.

- لقد كنت محقة في قولي عن وجود شيء غير واضح. السرّ هو ان ليون وإيفن كانا صديقين حميمين طيلة السنة الماضية وكان الثنائي يعتقد بأنهما سيتزوجان في نهاية الأمر. ومن ثم سافر فجأة الى انكلترا في رحلة عمل ولم يعد منها بعد لسنة اشهر متواصلة. وكانت الأيام التسعة هذه مفعمة استغراب لدى كل من يعرفه من اصدقاء ورجال اعمال ومستخدمين. كان مستحيلاً إيفن مترنا اثناء حفلة العشاء ولكنها ثارت عندما اتصل بها قبل ذلك ليعلمها بزواجه.

كانت نارا وهو يتكلم تحملق فيه وتفكر مليّاً فيما يقول.

- هل تتذكرين؟

- اظن انه كان بيبيا جدك أو خطأ. إيفن حيلة جداً والرجال يلاحقونها. سمحت لواحد منهم فقط ان يراقبها في سهراته أو ما شابه ذلك.

هز نيقولاوس كتفيه ورفع يديه وقال:

- انها تجربة شاقة سمعتها وقد تكون صحيحة أو خطأ. انا اعرف قليلاً ان إيفن كانت تحب ليون اكثر من غيره...

قطع سيل كلامه ولام نفسه لأنه لم يكن لبقاً في عبارته الأخيرة.

- اعرف ان في حياة ليون غيري من النساء. هذا متوقع، أليس كذلك؟

- بالطبع، لكن ليس من اللائق ان يذكر الانسان هذه الأشياء امام زوجته.

- ما عليك من هذا. كلّمني عن إيفن.

- كما قلت. تزوجت إيفن كاترا.

وقبل ان يتابع نظر في نارا مليّاً وسألها:

- هل تريدين فعلاً ان تعرفي المزيد؟

- نعم، يا نيقولاوس. اريد.

- تعتقد إيفن انه تزوجك ليستغلك فقط.

- افهم من ذلك انها واثقة من ان ليون ما زال يحبها.

- كما تعتقد جميعاً انه كان يحبّ إيفن.

- ليون ليس من اولئك الرجال الذين يقعون في الحب.

لم ترفع نظرها عن نيقولاوس لترى ردة فعله، فكان ان رفع حاجبيه فجأة. ومن ثم فوراً برأسه ليس موافقاً منه على ما قالت ولكن كمن اكتشف شيئاً مقلقاً.

- اذن فهو لا يحبك؟

- لا يحب أحداً الآخر.

مرج جوابها من فمه عفوياً وعليها الآن توضيح الأمر. كانت مترددة في فتح قلبها له وطلب مساعدته لكنها ستحاول.

- ما هي ظروف طلب يدك؟

انهالت قليلاً حتى اطلاعه على كل شيء قبل ان تتأكد من قوة الصداقة بينه وبين ليون. كانت أقنعتي ان يذهب الى ليون ويكتشف له عمّا قالته له كدليل على اخلاصه. وان يتأكد من ذلك الا اضطهاد لها من ليون لا تعرف مداه. ولاحظ نيقولاوس وجهها فقال لها انه شاحب وسألها اذا كانت تشعر بشيء.

أومأت برأسها وبقيت مترددة، وفي النهاية سألته:

- هل الصداقة بينك وبين ليون متينة؟

- أبسنا صديقين حقيقيين، ولكن بما اننا نعيش على هذه الجزيرة فمن الطبيعي ان يتعرف الناس بعضهم على بعض ويتلاقوا في المجتمعات. وعدا ذلك لا شيء آخر يجمعنا. فلماذا إيفن بيتاً فخماً هنا ولكنها تمضي معظم وقتها في البنا حيث تعمل عارضة أزياء للمؤسسة الشهيرة التي يرأسها ليون.

توقف وكان يتفحص وجهها وهو يقول:

- يمكنك ان تثقي بي يا نارا. اشعر انك تخبئين عن شخص تثقين فيه. ومن حقك ان تستطلعي. ألم تشعري بأن هناك... كيف يمكنني وصف ذلك، نوعاً من التقارب أو الرباط مثلاً؟

- هذا ما شعرت به يا نيقولاوس؟ وانا مسرورة انك شعرت بنفس الشيء.

- وهكذا فنحن صديقان؟

- نعم، نحن صديقان.

- اذن تستطيعين الاجابة على سؤالي دون ان اقتفي شيئاً.

- ان ليون لم يطلب يدي.

قالت ذلك بصوت حاذرته وابتسمت لانه دهش من كلامها.

- لم يطلب منك ان تتزوجيه؟

- لن تصدق القصة التي سأسردها عليك يا نيقولاوس.

- ولا اعتقد انك ستكذبين. واذا احتفظتها فلن تفيدك.

- طبعاً لا تفيدني. وقول الحقيقة هو الذي يفيد.

صمتت ولم تقل شيئاً وكان نيقولاوس صامتاً هو الآخر ينتظر. في النهاية تغلبت على ترددها وأخذت تسرد قصة حياتها مع ليون منذ الساعة الاولى حتى لحظة وجود نيقولاوس عندها. وكان نيقولاوس وهو يستمع اليها يبدي دهشته واشمئزازه او غضبه تحت تأثير عباراتها.

قال وهو لا يصدق ما يسمع:

- اذن قام بخطفك!

ثم اضاف:

- يا الهي! لن يصدق أحد هذا التصرف من ليون. انه شخصية معروفة ومحترمة في الجامعة... لا اصدق ذلك يا نارا!

- أتذكرك عما قلت من انك لا تعتقد انني سأكذب.

- اعرف...

كان ما يزال تحت تأثير الذهول، يرفع حاجبيه ويحبس ويرفع علامة استفهام بين عينيه محاولاً بذلك اقناع نفسه بتصديق ما يسمع.

- هذا يفسد يوم زفافك. انه لرهيب حقاً! لا بد ان قلبك تحطم!

- تحطم، وأصابني رعب شديد!

- وهل تعلّلت على كل ذلك الآن؟

- تلاشت الامور فأصبح الماضي صباباً وابدو كأنني لا اعيبا الا في الحاضر. وبقد حقيقة واقعة كثيراً من الاحيان ويصبح نسياً منسياً كثيراً من الاحيان ايضاً.

ولكنها لم تتذكر نيقولاوس ابداً تنسى وجوه يفقد فقط وهي بين ذراعي

ليون.

- انت سجينة هنا؟

نظر من النافذة ورأى الخادم دافوس يعمل في الحديقة بالقرب من النافورة.

- نعم، انا سجينة. ويريد مني ليون ان اعطيه وعداً قاطعاً بخدم الغرب مقابل رفع الرقابة عني.

- اي شيطان سكنه؟ هل كان حبه لإبن جلده الدوجة ليتزوج اول امرأة يقع نظره عليها؟

- لا أصدق اني اول امرأة وقع نظره عليها. لا تنس انه سافر من اليونان الى انكلترا.

- ذهب الى انكلترا في رحلة عمل وكان يجب ان ترافقه إيزن. ولكن لا افهم دوافعه التي هذه الجريمة. اذا كان فقد يريدك، كان يوسعه ان...

لوقف نيقولاوس مرتبكاً، واقفلته نارا من وضعه بعرضها عليه ان يتداول مرفقاً او شيئاً آخر. طلب مرطباً واتت به خادمة حسب طلب نارا، وتناولت هي شراباً مرطباً ايضاً.

- اي التباذل فذا قام بكل ذلك في حين كان...

لم يكمل وهز كتفيه. فاكملت نارا هذه:

- في حين كان باستطاعته الحصول عليه بدون زواج؟ كلا يا نيقولاوس. اوضح لي ليون انه خاف من عواقب الاختطاف اذ سيلاحقه الشرطة عندما اتل مني ويرافقني فاذهب الى الشرطة.

- تستطيعين عمل ذلك الآن.

- نعم، اذا تمكنت من الهرب وان يعطيني حرية التنقل بدون ذلك الوعد.

- ولماذا التمسك بالوعد؟ اعطيه الوعد واهربي.

- لا يمكنني التراجع عن كلمة الشرف يا نيقولاوس.

- اذن انت مجنونة! لا يجب ان ترتبطي بوعد كهذا!

- سارتبط، وليون يعرف ذلك.

نظر اليها باعجاب وتقدير ظاهر وجهها ولا حظت شريداً يتدلى في عنقه.

- انت امرأة مدهشة. الهي لي...

- نعم؟

تساءلت والأمل يحدوها

- لو استطيع ان استحبك واقترب اليك كثيراً يا نارا.

- هل تساعدني في الهرب يا بيفولاوس؟

- تهربين والعواصف الى عطيتك على ما اظن.

كان صوته هادئاً وحنوناً. وفكرت في احتمال كونها حاملاً فقالت:

- لا اعلم. قد لا يقبل بي بعد زواجي من شخص آخر.

فكرت في ديفد ولكنها هتفت في تصوّره كما كانت تفعل في السابق. والاهرب من ذلك انها وصلت الى حالة نفسية لم تعد تدفعها الى الحزن واليأس، ولو انها تأسف لذلك.

- عليك الحصول على الطلاق او على الغاء الزواج كلياً، وهذا يتطلب الكثير من الوقت.

- كل همي الآن هو الهرب من هذه الجزيرة. وبعد ذلك سأقرر مصيري. فهل ستساعدني؟

كان ينظر اليها وكانت تعرف ان صراعاً قوياً في داخله.

- اذا وشيت بنون الى الشرطة ستعذّبين حياته.

كانت ابرة رعب تخز كل ان يحي لخلاياه.

- لم استطع ان افكر في ذلك. اني اشفق عليه يا بيفولاوس.

- الا تريدين الانتقام؟ تهيأ؟

- كنت اريد ذلك من قبل، وليس الآن.

- هل وقعت في حبه؟

- ابداً!

- كثيرات وقعن في حبه. له جاذبية خارقة.

لم تعلق بشيء، ولكنها اقرت في ما عللها بحقيقة ذلك، وجعله الجاذبية غير الطبيعية هي التي جعلتها تستسلم، فكيف بها تنكرها في نفسها الآن؟

- أعد ماني ان اقدم شكوى بحقه. ساعدني بيفولاوس، ارجوك.

- اعتقد أن من واجبي ان اساعدك، لكن ليون سيكتشف ذلك.

- كيف؟

- هل هناك طريقة لمساعدتك بها دون ان يدري؟

- بكل أسف لا . لكن نستطيع كلانا ابتكار طريقة ما.

كانت متهيجة وعصبية، وهي متأكدة من مساعدة بيفولاوس لها بسبب الرباط الذي يجمع بينهما.

- لن يكون ذلك سهلاً.

رأى فجيعة طلّ طير على ارض الغرفة. فنظرت نارا الى الخارج ورأت بافوس مع أحد البستانيين. وكرهت حتى خدم ليون الذين يلاحظونها بلا انقطاع.

- اعلم صعوبة المهمة، ولكني سأجن اذا لم اهرب يا بيفولاوس.

تأمل في مقعده.

- انها مشكلة كبرى. من البديهي انه اصيب بالجنون حتى يرتكب عملاً كهذا! هذا ليس من صفاته، انه رجل متزن يحترم القانون.

وعندما رأى حاجبي نارا يستعربان قال:

- كم من الزمن سيمكث في البيت؟

- قال لي انه سيبقى حتى يوم السبت.

- امامنا ثلاثة ايام بعد... ولكن كيف نتخلص من هؤلاء الحراس؟

- لا اعرف. اعتقد ان بافوس ينام في المطبخ ويصعب تخليه اذا خرجت من الغرفة.

- لا أحد في الآن قد يزعج مدبرة.

نارا لم ترغب في ليس مجهوداً ولا سبب غير ذلك وركبس في انه يريدها.

- وهل استطعت الدخول من النافذة اذا البيت كله بعد ان يكون الجميع قد ناموا ووضعت سلماً لي. هناك الكثير من السلالم في غرفة العدّة في آخر حديقة الفواكه... هل تستطيع فعل ذلك يا بيفولاوس؟

- هذا ممكن.

- لست متأكدة الان

- المشكلة هي اني لن اراك ابداً بعد مغادرتك للجزيرة.

عضت على شفتها وقالت:

- انا اطلب منك المساعدة دون ان اقدم لك شيئاً مقابل ذلك.

تبالت عيناها ولكن بدون دموع، واضافت:

- انا مفصّرة اليس كذلك؟ قد تأخذني متلاً في غيابك الى بيراوس... طبعاً، الآن قد ظلمتك وتركتك بدون مكافأة.

www.liilas.com

- قلت انك لست متأكدة من الرجوع الى خطيبك.

- اني اعرف ما تفكر فيه يا نيقولاوس، ولكن يجب ان اصارحك باخلاص. ليس في قلبي شعور خاص نحوك... أي شعور عميق.

- لا يهب ان تقولي الشيء لهذه. لم تتيسر لنا الفرصة الكافية ليعرف أحدنا الآخر. وفي هذه الرحلة الباكرة وبعد ذلك الرباط الفاجيء بيننا. أليس هذا اساساً لشيء آخر؟

تنهدت. يبدو ان نيقولاوس يشعر بنوع من العطف او الحب نحوها، وهذا يبدو سخيفاً نظراً لأن الرجل اليوناني لا يعترف بالعواطف الكبيرة.

- في الحقيقة لا اظن اني سأتبع في حبك يا نيقولاوس. وعلاوة على ذلك فاني سأعود الى بلادي اذا تخلصت منه.

- هذا ما قلته منذ لحظة. لن اراك ابداً.

رفع قدح الشراب امام عينيه واخذ يتأمل عصير البرتقال في داخله. وضعه على شفتيه وهو ينظر اليها من فوقه، واضاف قائلاً:

- ومع ذلك سأساعدك، ولكن ليس اثناء غياب ليون احتالي لأن عليّ قبل التصليح الآن. على سيعيب ليون مرة اخرى؟

- لا اعلم.

بعد ان كان قلبها ينبض بالأمل والتوقع احست كأنه اصبح كتلة من الرصاص.

- الا توجد طريقة لانقاذي خلال يومين من الآن؟ أليس هناك زورق آخر؟

- في صديق يملك يخاً تكفي لا استطيع ان اضمن سكوته وحتى ان يأخذك لأنه أحد عملاء ليون، انه يشتري الفواكه من يساتين ليون فيعلمها في معامله.

- ليون يملك بساتين فواكه؟

- ليس هنا في الجزر بل في سهول البلسة في ايونان. واصبال ليون لتعشق صناعة او تصميم الأزياء، التي تكون جزءاً من همومٍ نشاطه. افترض انك تعلمين انه مليونير.

- اعرف انه غني كبير.

لم تول تارا أهمية لتذكر هذا الحديث، وعادت الى موضوع هربها ولم تحب عنه حيرة أمثالها فاعتذر وأكد لها انه سيجهز كل شيء عندما

يذهب ليون في نزهة القاعة. فاطمأنت تارا واقتنعت بذلك. وقبل ان يتركها سألته اذا كان يستطيع ان يزورها مع ما في ذلك من مجازفة. فأجابها انه سيزورها وانه مستعد لمواجهة المخاطر.

- واذا اراد هؤلاء اقدام المتلاعين ان يمكثوا قصصاً لليون فليفعلوا ذلك؟

- ولكن عندما أرحل سيشكّ ليون بأنك ساعدتني.

- لا اهتم بذلك. واذا حاول ليون ان يختن معي فسأسكته عندما يكتشف ما اعرفه عنه.

بعد ان تركها نيقولاوس اخذت تفكر فيما قاله عن ليون. لم تهتم بأن يعيب ليون أي حرج او اذلال قد يسببه له نيقولاوس، ما دام قد دافع على كرامتها هي عندما انتزعها من خطيبها بالقوة وحطم أمالها...

١٠ ـ مواجهة المرأة الأخرى

كانت تارا واقفة بين الشجر على بقعة مرتفعة من الجزيرة وهي تنظر الى الماء لعلها ترى زوجها عائداً من اليابا. ووصلت الى سمعها من سفح التل اصوات اجراس الماعز وبريق حمار يصعد لاهثاً على طريق معبدة بالحجارة. ورأت تارا زورقاً كبيراً قد يكون زوجها أحد ركابه. ها هو يخرج من الماء وفي يده حقيبة ويتجه نحو الطريق المنحوتة والكثيرة الانحدارات بين التلال التي هي زينة جزيرة هيبارا الصغيرة.

لوّح ليون بيده عندما رآها واقفة هناك. ورقّت له النحية بطلها وفي نفس الوقت شعرت بقبض في صدرها بسبب ما هي عازمة عليه. وكذلك بالشوق الى تزوياته الغريبة. وكانت تود انها تفهم موقفها من هذا الرجل الذي يسيطر عليها سيطرة تامة. تكره هذا الرجل. والفكرة المسلطة عليها

هي ان تخلص من بين يديه . . . ومع ذلك . . . كان قد أبلغ لها قبل سفره بأشهره الطاغي عليها وبقوة انجذابها اليه واستسلامها الكلي لاعتمالاته.

فكانت تحار في امرها: أهي الرغبة التي تستولي عليها؟ أهي منحطة الى هذا المستوى الماضوي الذي احتلك قلبها وعقلها . . . وحتى روحها . . . وطرد منها كل شيء آخر؟ هذا هو سجنها الحقيقي لا البيت الذي تعيش فيه. وما هي أجرة هذا السجن غير الذكرة والعار؟ كانت فتاة مثالية تتمتع الحب والاهتمام بالناس فوق كل شيء . . . الى ان التقت بهذا الوثني البرتغالي الذي مَحَّ الوجود تعليمها دروساً في الرغبة من مختلف نواحيها.

ـ كم هو جميل ان ارى زوجتي تنتظرني. بالطبع شعرت بفراغ الدار غيابي!

قال ذلك وابتسامته الساخرة لا تفارق شفتيه. توترت اعصابها واصطكت اسنانها. لماذا يتهكم عليها؟

دارت على نفسها واتجهت نحو البيت وهي تقول:

ـ صدف خروجي الى هنا لأني مللت من البقاء داخل البيت.

خلع بيا واسك يديها ولم يشجع الى أنها الخائفة:

ـ كيف كنت تقضين وقتك في غيابي؟

ـ في القراءة وحتام الشمس، ومن ثم القراءة وحتام الشمس. وكنت اتناول وجبة طعام بين كل قراءة وحتام شمس. واحياناً اتسلق عرقية سجاني والسادل ما قد صنعهم يفعلون لو اني هربت

ـ انهم يسقونك في الخمر.

ـ من يدري . . . قد اتسبب لهم بلحظات يتهاودون فيها.

ـ وانت ياعتلني ستسبين لنفسك لحظات تتألمين منها اذا لم تغيري مزاجك هذا. توقفت ترمياً حاراً فاستطرد بحلة صغيرة لسانها طويل

صمتت وتوجهت بافكارها وعينيها نحو الفتاة اخرى تشغلها. فأخذت تتطلع الى الاشجار التي تذهب الشمس اوراقها وال الازهار الكثيفة حول الخابورة والعرائشات التي تطير من زهرة الى زهرة. ومن بعد رأت رعاة الماعز في التلال والطرقات المؤدية الى الماء فقاوده حيث صيادو السمك يصلحون شباكهم. واصغت الى اصوات الطنانب بين الشجار الزيتون وال حفيف اوراق الشجر عندما يداعبها نسيم البحر. كانت سعيدة بهذه اللحظة وهي تسير الى جانب زوجها لانه لم يقطع عليها تأملاتها. سيكون

له الوقت الكافي ليشبعها من صوته!

- اصغي مني وافرغي حقيبتي واخرجي بما كنت تخفينه في خفاي.

لم يطلب مساعدتها بل اصطحبها امراً قاطعاً.

- قلت لك ما كنت افعله.

- لم تفعلي شيئاً آخر؟

كانا الآن امام باب غرفتها وكان ممسكاً بقبض الباب وهو ينظر اليها ملياً.

- كان يجب ان تعطيني وعدك، وستعطيني اياه في نهاية الامر.

خفضت عينيها لتتجنب نظراته الحادة. كانت تفكر في وعد نيقولاديس فما بالعادها عن الهربية في فرصة مثلها.

وضع ليون حقيبته على ارض الغرفة وقال:

- تعالي الي!

ذهبت نحوه طائعة مغمضة ذلك على الهرب ومن ثم الوقوع في قبضته الحديدية.

- والآن عانقيني!

اطاعت وعانقته ولكن ببرود. عندئذ شدّها اليه شداً عنيفاً وأنها.

- لم تعانقيني بعد. اعتقدت انك اخفقت من الي سيئاتك!

- اكرهك، اكرهك، هل تسمع؟

- اسمع وكل البيت يسمع. اما تكرار عباراتك فليس فيه اقناع. وانت تعلمين انك في اعماق قلبك لا تكرهينني يا نارا.

سكتين. كم هو واثق من نفسه، وأي هوس سيتلفه اذا هي هربت منه! رفعت عينيها فالتقتا بنظراته السوداء الجشعة بينما كانت يده تشمس اذنها ورقبتها وكتفها.

- انت تكرهين فكرة خضوعك لأوامري واعتبارها قانوناً، ولكنك لا تكرهينني. وانا مقتنع كل الاقتناع بأنك وصلت الى المرحلة التي تشعرين فيها بأنه لا يوجد كره حيث يوجد لذة بيننا نحن الاثنين.

أشاحت بوجهها عنه وهي عازمة على ان تكرهه مهما كلّف الأمر.

- هذه مجرد رغبة وهي لا تدوم الا لحظة فقط، الى لحظة وقوعها.

لم تعلم كيف قالت ذلك، الا انها تابعت وهي تنظر اليه الآن:

- انت تفهم ما أعنيه.

- نعم، انا افهم ما تعنينه يا نارا.

- كيا قلت، انه ذو مفعول حال وقوعه وليس بعد وقوعه.

- افهم ما تقولين ان الغرام هو ما تسمينه بالرغبة لفعل التعقل، اليس كذلك؟

- هذا صحيح.

- وانا اوافقك الرأي. ومن الطبيعي ان تميل الرغبة قوى الادراك، ولا يستطيع المرء ان يتحكم بعقله عندما تتحكم به.....

- كلي! تعقل! الا يوجد شيء آخر تتكلم عنه؟

ابتعدت عنه وركضت الى الطرف الآخر من الغرفة.

- كنا نناقش فقط قدرة المرء او عدم قدرته على استعمال عقله في حالات كهذه.

- كنا نتكلم عن كراهيتي لك يا ليون! ربما لا اكرهك في ذلك الطرف بالذات... ولكني اكرهك دائماً بعد ذلك... وأتصحك بألا تتحامل، لأنك مهما حاولت اقناع نفسك او غيرك، فانك ستكتشف خطأك في نهاية الامر.

- ماذا تعنين بذلك؟ اذا كنت ناوية على القيام بشيء يا نارا، فاني انصحك أن تتذكري ما قلته مرة: لم يحدث ان حصل شيء دون معرفتي.

ولكن قد تأتي لحظة تفاجئه. على أية حال، يجب ان تنتبه الى ما تقول فانها كانت تركب عفوة لا تختبر.

- كلانا على وضوح. ماذا استطيع ان افعل وتحراسك يراقبون كل حركاتي؟

حاول ان يقول شيئاً ولكنه عدل. تركها ولم يره بعد ذلك الا في ساعة متأخرة من النهار.

كان أول موضوع تكلم به في صبيحة اليوم التالي موضوع الوعد. فقال بصوت خشن:

- من الافضل ان تعطي هذا الوعد، والا سأبلبك سجينة الى حين ولادة طفل لنا. وهذا أمر يزعجك اكثر مما يزعجني.

- هل يزعجك حقاً؟

- سأرافقك الى البيا في المرة القادمة. شركاتي يعرفون اني متزوج لذلك استغربوا زيارتي الاخيرة بمفردي، ولا اريد تكرار ذلك. اذ انه سيبدو غير طبيعي.

- هذا مفهوم.

- ولكنك لا تخفين او تشعرين معي.

- وماذا اشعر معك؟

- هل ستعطيني هذا الوعد؟

- كلا، لأني لا استطيع اعطاء وعد ليس في نيتي الوفاء به.

ازعجها هذا الامر لانه قد يؤجل رحلته الى البيا اذا لم ترافقه. وقال لها في السابق ان من عادته زيارة البيا كل اسبوعين تقريباً حيث يقضي عدة ايام، ويبدو الآن انه متردد في الذهاب بدونها. ومن الطبيعي ان يستهجن اصدقاؤه وشركاؤه غياب زوجته.

- هذا يعني انك تأمنين في اتجاه وسيلة للهرب.

كان ذلك الشاب تناول الفطور حيث انتظر وصولها اكثر من ربع ساعة. وقد دخلت بيض وقدم لها الكرسي وابدى ملاحظة على مظهرها مشيداً باعجابه به. كان لباسها يتكون من بلوزة حرير لها الدام طويلة وسروال بزرقة الياقوت. كان شعرها يسالق ولا أثر للحمرة في عينيها. وابدى لها هذه الملاحظة ايضاً، ولكن كل هذا الاطراء لم يؤثر فيها، وعرفت سبب ذلك الى أنها في ان يذهب ليرون الى البيا ليأخذها بتيلاويس الى بيراوس فتتحرر؟ ومن هناك لأعطاها اول طائرة الى الحرية في انكلترا؟

نظرت اليه وعلقت على كلامه الذي كان فيه شيء من القلق.

- انت تعرف اني لم اقطع الأمل في الهرب. وأكد لك منذ البداية ان الهرب يسيطر على جميع حواسي.

برقت عيناه وصعد الدم الى وجهه.

- اذا هربت سأخذين طفلي معك.

- سأهرب قبل ولادته... لماذا تكلمنا عن الطفل؟ ان احمل جنيناً في بطني! انت تبدو متأكداً وزيجو ان تكون عطفاً! نسيت لي في عذاب اكثر مما استطيع ان احمل. ولا اريد طفلاً يزيدني عذاباً على عذابي!

شحب وجهه فجأة ولاحظت التواء عرق في وجنته.

- ترغبين بتعذيبك؟

- لماذا ارغبي به؟

واضافت بحرارة:

- هل يرضى به اي سجين حاله مثل حالي؟

- انت لي، وكنا اسرعت في الاعتراف بذلك اسرعت بسعادتك بالاقتراب!

- اني مللت من ذلك. هل يمكن نسيان هذا الموضوع؟ لا أطيق الدخول في نقاش هذا الصباح.

لم يقل شيئاً وتابعا تناول فطورهما، وبقي متأملاً باليأس الطفل والقطر، وبعد خروجه سألت نادرا زوجها:

- متى سنذهب الى البيا؟

- حاولت ان يكون صوتها طبيعياً قدر الامكان.

- لماذا تسألين؟

- لا لسبب. اتساءل فقط.

- سأظل مكوثي هنا. واريد وعدك لأحدثك معي.

لم تعجبها هذه النتيجة. يجب ان يذهب عاجلاً ام آجلاً، ولكن متى؟ لا يستطيع ان يبقى أصدقاؤه الى الابد.

- اذن عليك ان تنتظر، مني. ومن المؤكد ان الازدحام في البيا لن تصير عليك كصيري في اصطاد الوعد.

اختفى نظره وتقلصت وجهه واحدث اعصابها التوتر. يا إلهي! دعه يذهب. دعه يواجه متاعبه او مصاعب او اي شيء فيضطر للذهاب!

- ويبدو انك تستعجلين ذهابي. هل لديك سبب؟

نظرت نادرا وأسها ولم تنظر الى صحبتها. اضاف زوجها:

- لكوني عطفة لماماً اذا اعتقدت ان خدمي سيخاطرون بوظائفهم عندي اذا هم تهاونوا في مراقبتك.

كوني عاقلة ولاشي في هذا الوعد.

احست باليأس يدخل الى قلبها. ولكن ما عتمت بعد دقيقة ان راتها فكرة اعطتها أملاً جديداً. وتكلمت متصنعة اليأس في صوتها وعاقدة ألا يكتشف كلامها عن توابعا:

- لقد أرغم في الذهاب على اعطاء الوعد.

تبدلت طريقة جمله بصفي بانتباه وخلصت كلتيهما حزناً. وأضافت:

- كسبت كل جولاتك في معاركك معي يا ليون، ولا ارى سبباً يمنعك من ان تكسب هذه الجولة ايضاً.

ارتجفت شفتاها ووضعت شوكتها وسكينها في الصحن كأنها فقدت شهية الأكل.

- ارى انك بدأت في التعقل. كنت اعرف انك ستقبلين الحقيقة في آخر الأمر.

كان يغمرني السرور اذ ان شفتيه ابتسمتا وبدا الارتياح في عينيه.

نظرت في عينيه وازدردت ريقها آملة ان يكون لاحظ ذلك. وقال هنتها الآن ان تجمله يلاحظ تردّدها في اعطاء الوعد. وان يقبل بالفكرة التي توحيها له.

- لن نقال هذا الوعد الآن.

جعلت صوتها يرتجف ليدل على انها هزمت وتابعت تقول:

- انت لم تعطني الراتب كاملاً بعد... بالرغم من كل تعهداتك.

- ليست لدي اية رغبة في تعظيم ارتدائك.

- انك كل الرغبة. كم مرة قلت أن انه يتوجب على اعتبارك سيداً لي؟ كم مرة حصلت مني بالاكراه على ما ترغب فيه؟

- كل ما اريده منك هو ان تتوقفي عن معاكستي.

امتنعت عن النقص في الحديث وبقيت يقمع دفاتر لم يقولا اتممها شيئاً.

وبعد ان جمع متاعه الصغيرة وذهب بها الى المطبخ. قال ليون:

- اذا قبلت بدءاً اعطاء الوعد فالافضل ان تعطيه الآن. لم تزوري الجزيرة بعد ولم ترى شيئاً خارج نطاق الفيلا. انت حقاء يا نارا.

- لا يمكنني اعطاؤه الآن. يجب ان اتروّى... اتمهلني قليلاً.

طلبت الامهال بصوت كله توسل ورياء وفيه رنة لوم على عدم صبره. كانت دائماً صريحة وخلصة معه ولكنها الآن ولأول مرة في حياتها تلجأ الى الخداع.

وافق ليون وهو يتمتم:

- حسناً سأمنحك مهلة.

وأضاف:

- ارى ان لا خيار لي غير ذلك.

نهضت من نظرته انه ما يزال يحذرها ضمناً. ليعتقد ما يريد شرط الا يكتشف نواياها.

ربحت هذه الجولة اذ قال لها بعد مضي عشرة ايام انه ذاهب الى البنا.

- احب ان تراقبني الى البنا يا نارا. والوعد؟

- ربما اثبت بعملك الليلة القادمة. التي لك رحلة موفقة.

عبثت من نفسها لأنها كانت تحدعه. ولكن لم يكن لها خيار آخر.

- لو تأتين معي ستكون زيارة ممتعة ايضاً. وستحبك البنا بعملها ومشغلها.

- سمعت عنها الكثير وسأزورها يوماً.

- انت تعاملي معي.

كان صوته هادئاً وطبيعياً جداً يخلو من لهجة الأمر او التعزيمة. ولما رفعت عينيها ونظرت اليه أتيت فكرة مراقته. ولكن كان عليها ان تعقد، والوعد يعني الوفاء. وعندها يكون قد فات الأوان.

- الليلة القادمة.

كانت في غرفتها حندما دخل وعانقها قائلاً انه ذاهب.

- قبلة الكثير لتقضيه لي.

ونظرت اليه وهو يميل نازلاً الى الماء. كان رشيقاً مليئاً بالشباب والحيوية في كل حركاته. واسفت لأنها ستحرم نفسها منه اذا هي تركته.

ان يأمر نيقولاوس على النجيء. فقد زارها ثلاث مرات في الغياب السابق لزوجها. وفي كل مرة كانت تخشى ان يطلع احد خدم ليون على ذلك. ولكنها لم تقلق كثيراً نظراً للفارق الكبير بين طبقته وطبقة الخدم خاصة في بيت ليون. ومضت بعد الظهر تتجول في اتجاه الحديقة وهي تتطلع الى قدوم صديقها في كل لحظة. ربما لم يكن نيقولاوس على علم برحيل ليون بعد. او ربما عدل عن تقديم المساعدة فما معذوراً ان هذه المجازفة لن تفيده بشيء.

حلّ وقت العشاء ولم يحضر، وعندما كانت ستجلس الى المائدة داخل مستاعي قاعة الطعام وأخبرها ان زائرة تريد السيد ليون.

- اسمها الآنسة فلورو يا سيدتي. ترغب في مقابلة السيد ليون، لكني قلت

قال انه مسافر، وهي موجودة الآن في غرفة الجلوس.

هذه إلين! أنت لترى ليون...

- احتفظ بهدائي ساعداً يا ستانلي.

وجدت إلين جالسة لتحمل سيكارة بين اصابعها الطويلة الرشيقة.

حيّتها تارا وهي معجبة بالوضع الرزين المحترم الذي تتخذه بسهولة.

- لريدين مقابلة ليون...

- قال ستانلي انه متعب. كان يودي محادثته في موضوع عرض الأزياء المقبل في البلد. أسئلة لأي لن الفكن من رؤيته. فتعب اليوم؟

- نعم.

- سأراه عند عودته.

القت إلين نظرة احتقار على ملبس تارا التي لم تر ضرورة في تغيير السروال والقميص الى لباس رسمي وهي وحيدة.

- لم ترغبي في الذهاب معه؟

- أفضل البقاء هنا

- كنت اعتقد انك تحبين ان تكوني برفقته.

- ربما رافقته في المرة القادمة.

جلست تارا وقررت ان تسرع إلين في الذهاب. لا ترى داعياً لأن تطيل اقامتها ما دام الشخص الذي تريد رؤيته لم يكن موجوداً.

- سيكون كثير الانشغال في المرة القادمة لأهمية المرض، اذ سيأتي مشتركون من بريطانيا وبلجيكا وامريكا.

كانت تتكلم بترفع كأنها أحاول ان توحي اليها بأنها تعرف كل شيء عن مؤسسة هيرا مقابل جهل تارا المطبق.

- اعتقد انك تحرقين الى النموذج الأول لليون.

- ذكر شيئاً من هذا القبيل.

اضافت إلين بشيء من الكبرياء:

- ليون لايساوي شيئاً بدوني.

- صحيح...؟

رفعت تارا حاجبيها استغراباً وتهكماً واضافت:

- ولكن لا يوجد انسان لا يمكن الاستغناء عنه!

تورّد وجه إلين من الغيظ. وضعت السيكارة بين شفتيها وسحبت نفساً وهي تسلّط نظرها على تارا من خلال الدخان.

- هل علمت اني كنت خطوبة الى ليون؟

فوجئت تارا بهذا القول وقالت:

- هذا قول لا يعتد امام زوجته. ألا تظنين ذلك؟

لم تتأثر إلين بهذا بل ثبتت نظرها على تارا التي كانت توشك ان تبكي.

- انه تحوّل عن طريقة غير لبقة والكل يعلم بالأمر. واستغرب انك تجهلين ذلك.

بقيت نظرتها الثابتة مسلطة على تارا التي كانت تعتقد ان إلين تتكلم بهذه الطريقة مدفوعة بغيرتها الانثوية او لأنها أضدعها على كونها زوجة ليون.

- لا اعرف كيف التقيتما او كيف تزوجتما، ولكني اعرف انه تزوجك في نزوة غضب او حقد. وكنا قد تشاجرنا قبل ذلك، ولكن شجارنا لم يكن ذا بال. غضب لأنه اعتقد اني...

توقفت فجأة كأنها غضبت من نفسها لأنها كشفت الكثير. ولكنها اضافت على الفور قائلة:

- هذا هو ليون، متدفع، متقلب.

هزت تارا رأسها وقالت:

- زوجي ليس متدفعاً. لماذا تقولين ذلك؟

- بسبب قصر المدة التي تزوجتما فيها.

سحبت إلين طرف السيكارة في الملقطة. ومدّت يدها الناعمة واحدة من علبة سكائر ذهبية امامها وقالت:

- لم يتسع له الوقت الكافي ليتعرف عليك بما فيه الكفاية.

تجاهلت تارا هذا التعليق، ولكن إلين اصرت على معرفة ذلك فسألت:

- كم طالت مدة التعارف بينكما؟

- لا يهمّ ان يعرف الناس طول مدة تعارفنا.

- انه لا يحبك... لا، لا تقاطعيني! لو كان يحبك لأخذك معه. غاب عنك مرتين ولم تكوني معه في أيّهما

ونظرت إلين الى تارا بإمعان ثم اضافت:

ـ كان من المستحيل ان يسافر دون أن يأخذني معه عندما كنا مرافقين.
ـ كان في امكاني الذهاب معه. لكني فضلت البقاء هنا.
ـ هذا يعني انك لا تحبه ايضاً. هل تزوجته من أجل ماله؟

كاد الغيظ يخنقها. تأكد لنارا ان الغيرة تقتل إلين ولا تبالي بما تقول. وقفت نارا وقالت وهي تشير بيدها الى الباب:

ـ بما انك البت لتقابلي ليون، فانا متأكدة انك لا ترغبين في البقاء اكثر من ذلك. ان هنالي ينتظرني، وسأهدم ليون بأنك البت وقد يتصل بك تلفونياً.

بلعت إلين هذه الاهانة ووقفت بكل رشاقة فاتجهت نحو الباب وهي تنظر الى نارا نظرة احتقار. وكانت أهبتها كاملة اكثر منها أهبة عندما قالت:

ـ طابت ليلتك.

ـ وليلتك يا آنسة فلورو.

رافقتها نارا حتى الباب الامامي رغم وجود مستخدمتي ليفتحه لها.

ـ عشاؤك جاهز يا سيدة ليون.

ـ اشكرك يا ستانلي.

نظرت نارا اليه ورأت في عينيه الدهشة والاستغراب اللذين لاحظتهما في عيني كاليانس عندما قدمها ليون على انها زوجته. وتذكرت كلمات كاليانس حينذاك:

ـ زوجتك يا سيد ليون؟ والآنسة...؟

كاد يلفظ اسم إلين ولكنه توقف في الوقت المناسب. كان كل عدم ليون وجميع سكان هذه الجزيرة الصغيرة يعرفون العلاقة الثلاثية بين ليون وفلورنس إلين، وكانهم كانوا يتوقعون ان يتزوجها.

هل يتم ليون بها؟ يصعب ان تصدق نارا ان ليون يهتم بأحد غير نفسه. الحب شيء يكاد لا يعرف منه شيئاً.

١١ ـ خطة الهرب

بعد انتظار نارا لزيارة ليفولا وس أسبوعاً. نهضت مبكرة من نومها كما جعل النهار آخر، وأقفل حل اضطراب. لم يقل ليون كم سيطول غيابه وقد يعود في اليوم التالي او بعد بضعة أيام. لا، لن يعود الليلة اذ ليس من الممكن ان يكون قد أنهى اعماله في هذه البرهة الوجيزة.

ـ نارا لا تأتي يا ريفولا؟ نارا؟

كانت أتتي من غرفة الى اخرى وتخرج على بلاطها الرخامي وسقوفها المزينة والتماثيل النحتين ذي الطراز القديم وهي أتية الصبي الدمية. وحاولت ان تركز افكارها على الشاء غير الهرب. اقتربت من النافذة ورفع نظرها على الناظورة الجميلة فاخذ يا جاهلا للخروج الى الحديقة حيث السلام وافقدوه. ولكن السلام لم يجد طريقه الى نفسها ولا اعتقد ان يطرد منه القلق والشك.

واذا تحمل نيقولاوس عنها فستكون نهاية حزينة. اذ سترغم حينئذ على اعطاء الوعد او انها ستبقى! لا تستطيع ان تتحمل هذا السجن اكثر من ذلك. واذا ولدت طفلاً هنا فلن تتمكن من ترك الجزيرة الا بعد سنوات. وستبقى الطفل الأول طفل ثانٍ وثالث... من يدري؟

تابعت تجوالها في الحديقة وكانت تنظر الى ساعتها بين لحظة واخرى.

- نيقولا، أرجوك... تعال!

ستضيعها المسنيورا اذا ظلت على هذه الحال. ولذا عزمت على عمل شيء. عادت الى البيت وتناولت كتاباً نظرياً في الحديقة، ولكنها لم تستطع ان تركز افكارها. نظرت الى الازهار والى الفراشات الجميلة فلم تأثر بأي منها بعد ان كانت تجد فيها متعتها الكبرى. نهضت اخيراً ولم يلفت نظرها أي شيء، وتطلعت الى الافق فرأت البحر، هذا البحر الذي حيل اليها انه سيقلها الى ارض الحرية.

كان دافوس وكليانثس يرشدان شجر البرتقال والليمون ليرتشوش عند العشرات. ورأت دافوس يوجه نظره الى نقطة معينة بعد الشارة من زميله. وتبعت نارا اتجاه نظرهما فرأت رجلاً يصعد الطريق نحو البوابة الكبرى. توقف الرجلان عن العمل وانتظرا، لكن نارا ادارت ظهرها اعتقاداً منها ان الرجل أتى ليرى أحد الخدم. كانت جالسة امام البيت والكتاب في يدها عندما الى كليانثس والرجل بصحبته.

قال الرجل:

- معي رسالة للسيدة ليون، تسوا ان يرسلوها اليك عندما وصل البريد هذا الصباح. قد تكون مهمة ولذا اتيت بها شخصياً لاسلمها لك.

كانت لغته الانكليزية ركيكة. نظر حواليه وحكّ شعر رأسه وقال:

- الحرّ شديد! انا عطشان واستطيع ان اشرب قدحاً كبيراً من الماء!

كانت نظراته مثبتة في عيني نارا، وفي أسرع من البرق فهمت كل شيء وصرخت في وجه كليانثس:

- حالاً، كأس ماء... او تحب شراب الفواكه؟

- جميل جداً! الكثير من عصير البرتقال!

انحنى كليانثس وانكبّ قال قبل ان يذهب:

- لم أرك من قبل.

- اتيت لزيارة اختي. هي سيدة... سيدة البريد؟

كان من الواضح انه يعني مديرة مكتب البريد.

قال كليانثس:

- اخبرونا كثيراً عنك. اهلاً بك الى جزيرتنا.

- شكراً جزيلاً!

ابتسم عندما قال ذلك وكشف عن عدد لا بأس به من أسنان الذهب.

- سأتي لك بالشراب.

ذهب كليانثس ودخت نارا الغريب لأن يجلس فجلس وأخرج مظروفاً من جيبه. أخذه في يديها برهة وهي تتساءل عما يمكن ان يحتوي الغلاف من... أخبار حسنة او اخبار سيئة. اما ان فيها خبر استعداد نيقولاوس لمساعدتها او انسحابه من العملية لعجزه عن القيام بها.

تحسست نارا الغلاف ومن ملامستها عرفت ان في داخله قلماً. اذن نيقولاوس يريد منها جواباً. فتحت الغلاف والأمل يتسرب الى قلبها واخرجت منه ورقة مطوية، وسمعت الرجل يقول:

- انا سافلس، وسأنقل الجواب الى السيد نيقولاوس.

اومأت برأسها وبدأت تقرأ:

- قبل ان تستمري في القراءة، اكتبي على الغلاف مكان شرفة نومك بكل دقة واعطيه لسافلس.

كانت هذه الكلمات مكتوبة بأحرف كبيرة على رأس الرسالة. كتبت نارا على الغلاف ما طلب نيقولاوس وأعادته الى الرجل. كان قلبها ينبض بقوة وبدأت تشعر بأنها حرة.

وضع الرجل الغلاف في جيبه ولي هذه اللحظة الى كليانثس بالشراب ولم يغب الا دقيقتين. وهنا فهمت نارا معنى وقيمة العبارة المكتوبة بأحرف كبيرة والتي تعمّدها بائرد، وليساعدها في تعمّدها وضع قلماً مع الرسالة.

كان كليانثس واقفاً ينظر الى سافلس وهو يجرع شراب البرتقال... ومن ثم رافقه الى البوابة. وضعت نارا الرسالة في جيبها ودخلت البيت. ولما أوت الى فراشها، قرأت ما كتب فلما نيقولاوس بينما كانت دقات قلبها تعلو وتهبط حسب مؤثرات الرسالة:

«عزيزتي نارا

بالرغم من اني عرفت بسفر ليون المبكر هذا الصباح، رأيت من الانسب الا آتي اليك. . . وانا متأكد من ان هذا هو رأيك ايضاً. ومن المستحسن ان ينفي كل شيء سراً بقدر الامكان. ولذا ذهبت البارحة الى بورودس ورجعت برجل يقوم بأعمال على زوركي من وقت لآخر. سافاس غير معروف مطلقاً في هيدرا وهذه الحركة ستنجح. هذا الخطة فهي كالآتي: اريدك ان تكوني جاهزة في السابعة الثانية صباحاً عندما اضع سلّماً تحت نافذتك. واذا رغبت في اخذ بعض الثياب ضعيها في صُرة وأرمي بها من النافذة وسأضعها في حقيبة فيما بعد. لا تستعملي اية حقيبة لأن صوتها يوقظ الخدم. سنمر سراعاً على حجر النافذة لكي يرتكز عليه وهكذا لا يخرج صوتاً. هذا كل ما هو مطلوب منك. وسأعيد سافاس الى بورودس السابعة والسابعة من هذا المساء وهكذا يكون بعيداً عن الانظار. وسيكون زوركي جاهزاً وسيقلّكما الى بيرايوس. لا ادري لماذا اقوم بهذا العمل. ربما لأنه مثير، اوربما لأني احب ان أنقذ فتاة من مأزق، اوربما لأني احببتك كثيراً».

كان على الرسالة توقيع بيثولاوس فقط. مزقت نادرا الرسالة قطعاً صغيرة جداً ورمتها في التواليت واخذت مع ذلك.

ثم قرّرت ابداً بوقت الخروج من الغرفة بين قراءة الرسالة وبين فتح النافذة بكل هدوء ووضع الحرام عليها كيلا تنسب في أي صوت. كل شيء حاضر وتخلصت من الخادمة الى الحديقة فلم تر شيئاً بسبب الظلام الدامس. كان قلبها يدق بسرعة كبيرة وأعصابها مشدودة. لم يكن هناك اي صوت او حركة وكانت صرة الثياب في النافذة. ها هو! تصورت انها رأت شبح رجل يتحرك. . . وان السلّم رفع الى النافذة.

احست القاسها وهي تتوقع ان يتزحزح السلم بسبب ثقله فيهوي الى الارض يصطدم بالشارع او باحدى النوافذ الاخرى. لكن بيثولاوس قوي وقد وضع السلّم في مكانه. رمت نادرا بالصرة الى أسفل وكانت على وشك ان تعبر من النافذة وتضع قدميها على درجة السلّم عندما رأت ظل رجل آخر يتحرك ومن ثم يرتفع سريعاً الى الناحية الاخرى من الحديقة. وجدت في مكانها عندما رأت ظل رجل ثالث. طويل وذي خطوات سريعة. . .

شعرت ان قلبها توقف. لا، غير ممكن! هذا غير حقيقي! من المستحيل

ان يكون ليون هنا في هذا الوقت من الليل! ومن الرجل الطويل الآخر السريع الحركة؟ كانت ليون من الرعب وتسمرت في مكانها عندما رأت الشبح واقفاً يفحص المكان ومن ثم ينحني ويلتقط الصرة. وفي اللحظة التالية رأته يرمي بالصرة على الارض ويرتقيها برحله ويقدم. . . كاد يغمى عليها.

كانت ما تزال مسمّرة في مكانها عندما دخل زوجها غرفة النوم يرتجف لم تميزه بسهولة من حدة الغضب. كان دمه يغلي حتى بدا كأنه الشيطان نفسه. والآن ماذا سيحصل بها؟ رأت الغضب يتملك زوجها في السابق كثيراً ولكن ليس بالدرجة التي تراه فيها الآن. انه سيقتلها حتماً وبحركة غريزية وضعت يدها على عنقها. نعم، سيخنقها الآن. . .

- من كان يساعدك؟

صدمها صوته الغاضب، وأحست انها مريضة مغمورة الفؤاد.

ولما لم تجبه سألها ثانية وبصوت هادئ، ايضاً:

- سألتك سؤالاً!

كانت تبتلع ريقها وتتكلم.

- انا. . . لن اقول لك! لن اقول لـ. . . لك!

- ستقولين. . . والا اضطررت الى تعذيبك!

اثار نغمة خفيفة وأسنك يديها فأحست بألم شديد فيها وصرخت.

- أحبيني!

كشر عن أسنانه وبدا كأنه غير يستعد للهجوم على فريسة.

- احبيني قبل ان أبرحك ضرباً!

- لا. . . لا تستطيع.

رفعت رأسها وكانت تعرف ان نقطة دم لم تزل في وجهها. وتساءلت عن الخط المشؤوم الذي اتى به في تلك اللحظة بالذات بينما كانت على وشك التخلص من قبضته المخيفة. كان الشيطان بجانبه. . . انه الشيطان بنفسه!

- ارحموك الا. . . تطلب مني ما. . . ما يدعني شرفي من. . .

- شرفك! انت تكلمني عن الشرف؟

رمقها بنظرة جعلت جسمها المرتعد يتقلص. لم يتكلم ولكن عينيه كانتا

تعبّران عن ازدراء أكثر من الكلام.

ـ ذلك الوضع الذي تكلّفته قبل ستة أشهر لتظهري تمسكك في موقف الهروب والوعد الذي أعطيتني به لأصدّق انك استسلمت بعد ان خسرت كل المجولات، كان كل ذلك جزءاً من خطط الهروب الذي صممته سلفاً. أليس كذلك؟

كانت هزّاته من أعنف ما عرفت، ولا رفع رأسها اليه لرغبتها على النظر اليه.

ـ أليس كذلك؟

اشارت بجبينها بنعم وهي تتساءل عن مدى احتمالها وما اذا كانت ستبقى واقفة على رجليها لو أحل سبيلها.

ـ نعم، كان كذلك.

ـ مع من خططت؟ ربما رشوت أحد الخدم ليساعدك، وإلاّ فمن يستطيع مساعدتك؟

ـ لا علاقة لأي من الخدم بهذا.

ـ لا تكذبي.

ـ أقسم ما هو [illegible] ولا أعرفه.

ـ لقد شبعت من سبّ حالك!

ـ لي مطلق الحق في ان أحدثك!

لم تعرف كيف خرجت هذه العبارة من فمها. وشعرت باصابعه تطوق عنقها فرددّت نفسي بالاختناق، بدأت تقاوم وتطوّق لتنقذ حياتها من موت محقق. في هذه اللحظة رفع يده عن عنقها وسألها بصوته الخافت، الناعم الذي يخيفني وراء عاصفة كاسحة:

ـ قولي لي مع من كنت تخططين للهرب بينما كنت تحلوين وتداورين معي؟

لم تعرف لماذا اقتنعت عبارة وتداورين وتداورين»، وبحثة لم ينتبه اليها اختلت منه وقفزت الى الطرف الآخر من الحافة.

ـ من حقي ان أخطط ولكل سجين الحق في الهرب. فكيف أجسر على اتهامي بأني أعمل في الخفاء بينما انا أعمل لأنقذ نفسي؟

وبالرغم من ان كلماتها لم تكن بحدة كلماته الا انها اغضبته.

ـ ما زلت تنظر اسم شريكك! من هو؟

كان ظهرها الى النافذة وأحست بالهواء يداعب شعرها. هل تقفز...؟ تفضل الألم الناتج عن هذه القفزة على الألم الذي سيسببه لها الآن وهو يقدم نحوها بخطى ثابتة. تلمست خنجر النافذة وامسكت به ولكنها لم تكن متأكدة من انها تستطيع ان تقفز قبل وصول زوجها اليها. فظن هذا الى نيتها فقفز وامسك بها. وفي القفزة القصيرة التي قطعته لانتزاعها من النافذة تبادرت الأفكار في رأسها وفكرت بالعقاب. ارادت ان تستسلم الا ان مرأى عينيه الرماديتين وفمه المتلوي من الغيظ ويديه القويتين أثّرت فيها ومنذ ذلك بقوة عارمة مكنتها من القفز الى النافذة والجلوس على حافتها، وصرخت:

ـ سأقفز. استعد...

ـ ففي! أنت مجنونة... غبي!

كان عاقلاً، ولأول مرة في حياته كان عاقلاً. حاول ان يتقدم لكنها صرخت في وجهه:

ـ حذارة اخرى وسأقذف نفسي!

ـ سيارة. لا تكوني حمقاء!

تحدث بحدة صوته ليبدو وكأنه كانت تعلم انه لن تجازف في رمي نفسها من النافذة، ثم تابع: ثم تعلم ان سبب هروبك هو رغبتك الشديدة في مساعدتها، وتويل لها اذا فسحت امامه فلة أن يشاقق عليها وان يرحمها.

ـ انزلي عن النافذة! انزلي الآن!

ـ هذا ليس وقت القاء الأوامر. الى دوري انا لأحل السوط بيدي. وأفضّل ان التسبب في أذى نفسي على ان أأذي منك.

سمعت اساءته تضحك وردّت بدورها بتأفف. أفرحها تذلّلها على غريزتها لأنها متأكدة من انه لن يتركها تقفز، وفي هذه اللحظة سيستسلم لها ويخفّ من كبريائه الوهمي. كان واقفاً امامها لا يعرف ما يفعل في هزيمته امامها. تحاول ان يقنعها بصوت الطف:

ـ انزلي.

ـ لن انزل قبل ان تعطني بأنك لن تستعمل القوة معي ولن تجبرني على افشاء اسم من ساعدني في وضع السلّم...

وانتفضت لتعدل على مكان السلّم فقدت توازنها وكادت على وشك ان

www.liilas.com

تسقط لولا انه اسرع بخفة مذهلة وامسك بها من ثيابها وأنزلها. رمت نفسها عليه ووضعت رأسها على صدره واخذت تنتحب. طوّق جسمها بذراعيه ليمنعها من السقوط على الارض لا ليجعلها تشعر بحنانه. وعدا ذلك لم يبذه حتى بكلمة عطف، وكان جسمه متصلباً. ولما رفعت نظرها الى وجهه عاودها الخوف من جديد. اذ كان ينظر اليها نظرته في كل مرة يريد ان ينزل بها عقاباً. قال بصوت هادر:

- انك فتاة محنونة حقاً! يجب ان أجلدك لسلوكك هذا؟

وبدلاً من جلدها عانقها بنفس العنف. كانت مقاومتها بلا فائدة لأنها فقدت كل قواها ورأت ان شجرة نحوها كان شعور السيد نحو خادمه لأنه كان ان يتذوق طعم الاهانة والاستسلام عندما فرضت عليه شروطها.

تركها وأعاد الناقة. صحيح انه انقذ حياتها ولكن هل انجبا حياة احتملتاك بعد الآن ام تعود الى نمط حياتها السابق؟ هو هو في نظرته الفديدية. هو هو في بطشه الخاضع. اخذها ثانية بين ذراعيه وقال:

- سأستحوبك مرة اخرى في الصباح. اما الآن...

عانقها واخذت تراقب مشيرة عائلة عنايةً بها. وتذكرت نفسها ان وجودها تحت سقفه نتيجة اختطاف وارغام.

- حذرتك وقلت لك اني لن أوافق على فعلتك.

- نعم، حذرتني يا ليلى.

- هل تعرفين سبب وجودي هنا الليلة بدلاً من الليلة؟

- كلا.

توقع منها نعمةً او استغراباً ولكن كل ما سمعه كان صوت بكاء خافت.

- ولكنك تؤمنين ان تعرفي.

هزت كتفيها وقالت:

- انت دائماً تكسب وستكسب دائماً.

- هل يئست الآن من الحرب؟

ابتلعت ريقها وكان قلبها يبكي من الحسرة. واجابت لكن بعد ان هز كتفها ليذكّرها بأنه ينتظر جوابها:

- اعتقد ذلك...

- لم أعطِ اي معنى لكلامك الا فيما بعد عندما قلت انك ستفكرين باعطائه رعدك. ورأيت ان هناك شيئاً غير طبيعي في قولك. فتراءى لي انك لم تكوني صادقة. وان طريقتك في الكلام ربما كانت خدعة. فسلطت في التبع بعد ان جاءني الطعام. ولن أتهم أبداً كيف انخدعت بهذه السهولة والتفسير الوحيد هو اني وثقت فيك. ولكن هذه الثقة تلاشت حالاً فتبعتك، فاستأجرت زورقاً سريعاً وأتيت بأقصى سرعة ممكنة.

توقف وهدأت لأن شفتيه كانتا ترتجفان وجبينه يعرق.

- يجب ان تعرفي ان ما عندي يكون ملكاً لي، يا زوجة، واعتقد الآن أنك ستعتبرينني زوجاً لك... وسيّداً.

تنهدت وأشاحت بوجهها. ولكنه أدارها نحوه وثبت نظره في نظرها. سألته وهي تتململ

- هل ستنسى معاملتي غداً؟

- أنا انسى معاملتك؟

بدأت يده تعبث بأزرار ثوبها.

- اني بارغامي على اعطائك اسم من وضع السلّم؟

- سأستحوبك وأستجوب الخدم أيضاً. لن يتجرأ أحدهم على الكذب.

فكرت ثانية في دافوس وكاثلين القلقين ورأت الرسالة عندما ان يأتي الرجل. سيعرف بها حتماً وسيكون يوم غد كابوساً بالنسبة اليها.

- لن أقول لك أبداً. يمكنك ان تقتلني، ولكنك لن تعرف من ساعدني.

- لن اقتلك...

بدأ الآن عملية عنايته ولم تخالف هذه بتفاصيلها عما سبقها من عمليات مماثلة

- في حياتي كلها لم استمتع بوجود امرأة كما استمتع بك.

نسيت ثانية مغامرة تلك الليلة وخوفها من المستقبل.

١٢ ـ الوعد المرير

في الصباح وثم ثيرن عدة اسئلة تأثرا ولم يحصل على شيء. فأخذ يسأل خدمه واحداً واحداً وكل ما ناله من معلومات هو الرسالة فقط.

ـ من بعث لك هذه الرسالة؟

ـ وصفت تأثرا ان تبوح باسمه.

ـ طبعاً، لم تأتك في البريد.

ـ كلا، كانت من الشخص الذي ساعدني.

ـ ما زلت مصمماً على الا تعطيني اسمه؟

لكنه الجوزة كيف استطاعت تأثرا ان تتصل بالناس مع كل هذه المراقبة.

ـ هذه اعمال نذالة جرت من وراء ظهري، ولن يستريح لي بال قبل ان

اكشف سرها.

تطلع فيها، وكانا بعد في غرفة الجلوس حيث استجوب خدمه.

ـ بالكدي من اني سأضع عليك رقابة أشد من الآن فصاعداً.

حلقت على قوله بهزة كتف دون اي انفعال:

ـ كل هذا لا يعني بعد الآن يا ثيودن. انكما سجينتك ولن تسنح لي فرصه للهرب لمدة طويلة جداً.

نظرت اليه وهي ترى نفسها مستلقية بين ذراعيه. كانت في السابق تثير له ظهورها. لكنها هذه المرة ارادت ان تبقى بين ذراعيه اطول مدة ممكنة. ان تبقى في حماية ذراعين قويتين كانتهما دفء وحرارة. وعندما أتى الصباح طلبت منه ان يبقيها في حماية ذراعيه.

ـ حتى اذا اعطيتني الوعد لن أثق فيك بعد الآن. أخشى تعرفين هذا.

قالت بهدوء واستسلام تأنين:

ـ سأعطيك الوعد اذا اردت وسأحترمه وفي كل الاحوال، اذا لم تثقي بي بعد الوعد فلن استغل استسلامك. انا لي سأعيش كما عشت منذ تعيشي الى هنا.

انتاب عليها البكاء وكأنها تخشى من نفسها لأنها تبكي. هزت يدها امام عينيها وقالت وكأنها تكلم نفسها:

ـ ما الفائدة من الدموع؟

ـ لا احب ان اراك تبكين.

ـ لا اعتقد ان بكائي يؤثر فيك.

نهض من مكانه ومشى الى النافذة واضعاً يديه في جيوب سرواله. تأملت ظهره المستقيم وعضلاته القوية. وأحست بشيء مثل شعور داخلي لا تفهمه يتحرك فيها. ما الذي تثير فيه؟ قبل بضع ساعات كانت تقذف بنفسها من النافذة وكان يمكن ان تموت او تؤذي نفسها. استغربت من نفسها كيف شعرت بنصر التفوق عليه عندما هددته بالقفز من النافذة اذا لم يخضع لشروطها. وشعرت بقشعريرة الخوف تسري في عروقها لمجرد التفكير في ذلك. وعرفت انها لم تكن تستطيع ان تنفذ ما هددته به، ولكنها أسعدت لأن الخط لم يسعفها كي تصل الى يمينها. كانت تريد فرض شروطها والحصول على متاعها في ان تكون بمأمن من مراقبة. ولكن القدر تدخل وأنقذه من حماقته المزرية. وبينما كانت تتوقع تهديداً او عقاباً أتاها عناق

طويل. كان في حبه خائفاً كثيراً... هل سبب خوفه اعمق مما استطاعت استنتاجه؟ كانت تعتقد انه يريدها فقط، ولكن الرعب الذي اصابه وهي بعده بالقفر يعني اكثر من ذلك بكثير. ولكن ماذا يعني؟

التفت نحوها وقال:

- اشعر انك ستحاولين دوماً ان تبرري عني يا تارا.

عست بسبب رنة صوته، ويبدا لها انه فريسة اليأس. واضاف يقول:

- لم أصدق ابداً انك ستهربين فعلاً.

- ولكنك كنت تصدق انك تستطيع الاحتفاظ بي.

- نعم. وكنت متأكداً من ذلك.

كانت عيناه تلمعان وعاد فجلس حيث كان سابقاً. وكان هذه المرة غير مستعد بوقاحته المعتادة ولم يبد انه يمس الرجل المترفع الواثق من نفسه. لاول مرة رأت تارا ان فيه شيئاً من التواضع أيضاً، ولكنها لم تبال بذلك مطلقاً.

وتواضعه هذا غريب عن طباعه المعروفة بالسيادة والسيطرة اللتين كانتا موضع اعجابها حتى وهي بقاومتهما.

ولكنها لاحظت فيه نقصاً معيناً... ما هو؟ جاذبيته...؟ نظرت الى يديها وهتفت أنها لمس بشيء ناعم عندك ما.

تكلمت بصوت هادىء ولطيف:

- قلت لك ان الانسجام الجسمي ليس كافياً. أتذكر؟

- أذكر.

كان جوابه جافاً وصريحاً.

- الزواج يجب ان يقوى بالحب.

- كنت تحبين ديفد ثم كنت تعتقدين ذلك؟ وهل تعتقدين حقاً انكما كنتما عشتما سعيدين لو تزوجتما؟

- طبعاً.

ولكنها لم تكن متأكدة من اعتقادها هذا. لا داعلها بعض الشك في مستقبلها مع ديفد.

- طبعاً؟ ام انك لست مرتبة؟

كانت عيناه تفحصان عينيها بإمعان.

كانت حالة عندما هزت رأسها ونظرت اليه شاردة وهي مصعوقة بالاكتشاف الذي اخذ يحتل ذهنها تدريجياً. من المستحيل ان تكون قد وقعت في حب هذا المسيح! في حب هذا البوناني الغريب الذي لم يعترف اية فرصة ليفرض عليها سيادته وليهدأ بأن أوبرهن على تفوقه بطريقته الوقحة.

- لا... انا متأكدة من ذلك.

ضحك ورفع حاجبيه:

- من تحاولين ان تقنعي يا تارا؟

ها هو قد استعاد ثقته في نفسه وتلاشى تواضعه. هذا هو ليون الذي عرفته واعتادت عليه... والذي أحبه...

نعم، أحبه. ولا يفيدها انكار ذلك مهما حاولت. فكرت في العيش بدونه. عليماً سيكون حسناً! لا أمر ولا مأمور، ولا سيد يلقي الاوامر قبطاع بدونه سيكون حراً... ولكن هل تريد حقاً ان تتحرر؟ الحياة بدونه... اغمضت عينيها كي لا ترى طريقاً موحشة بارداً لقد فاتها بلا نهاية. كي لا ترى المستقبل المملوء بذكريات التي ستبقى حية وواضحة. كلا! ليست هذا الجنون تقع في حبه. انه وحش وسيبقى كذلك. وقالت لنفسها:

- لا أحبه، وحتى ان احببته اكره ان ابقى بجانبه لانه يؤمن بأن الرجل في هذا الجزء من العالم كل شيء والمرأة لا شيء!

- سألتك من تحاولين ان تقنعي.

تطلعت فيه وكانت عيناها داكنتين داعنتين. اصبحت حياتها عبارة عن هزات متتالية بسبب هذا الرجل الذي احتطفها من حب. نعم ديفد هو الذي أحب! وكانت تعرف ذلك طيلة الوقت.

- اعرف ان ديفد هو الذي أحب وؤمن بأنه كان سيمنحني السعادة كل حياتي.

- اخبريني عنه. اخبريني عن مظهره.

لم تكن في وضع يمكنها من الكلام. لكنها اخبرته بكل شيء وبالآمال التي كانت تجمع بينهما. تكلمت بحنين الشهف الى الذكريات عن ثلاثة بيتهما الصغير الجميل الذي اشتراه بالتقسيط. تكلمت عن بهجتها عندما تبيض زهاتها وتجد الشمس مشرقة.

- كان ثوب العرس جميلاً...

توقفت لتمسح دمعة نزلت من عينيها وانزلقت على وجنتها الشاحبة. ولاحظت في نفس الوقت ان ليون ابتلع ريقه كأنه يحاول ازالة شيء لاصق في حلقه. وان يديه كانت تضغطان وتفتحان بعصبية لاشعورية مما يدلّ على انفعالات قوية تتحكم به. فيم كان يفكر؟ لم تستطع ابداً ان تقرأ افكاره...

وكانت تختنق من التأثر وهي تقول:

- انت لم تعتبر ان ثوب العرس كان جميلاً... لذلك رميته في البحر.

لم تقصد بهذا الكلام ان تؤنبه او ان تؤلمه... ولكنها دهشت عندما لاحظت رعشة في وجهه.

- ارى ان تغيّر الموضوع. وعلّ الأن ان اذهب الى مكتبي حيث سأعمل حوالي الساعتين وسألقاك بعدها في الحديقة.

بقي وريفعت تارا برأسها فأسألته الى الوراء وسألته بعد فترة وجيزة:

- هل تحاشيت عن بحث القضية... اعني قضية عملوائي في الغروب؟

نظر اليها طويلاً وجال بنظره على وجهها ثم اجاب:

- سنتحمل الحقيقة بكاملها يوماً، اما الآن...

ورفع يديه ورماهما الى أعلى دلالة على اليأس او الفشل.

- لا يبدو ان هناك شيئاً نكسب من الاستمرار في التحري. ومن الطبيعي ان تصيبني الدهشة اذا لم يكن احد الخدم مذنباً. ولا أجري اذا كان هناك شخص غريب خارج البيت...

وفجأة توقف وتطلع فيها وسألها:

- هل زارك أحد اثناء غيابي؟

- زائر؟

عرفت انه شك في زائر معين لأنها تحادثت مع نيقولاوس معظم وقت العشاء. وارادت ان تكسب الوقت فقالت:

- قلت ان زائراً اتى ليراني؟

صرخ اسم الزائر في وجهها.

- نيقولاوس! نيقولاوس زارك. اليس كذلك؟

هزت رأسها نفياً وتذكرت إلين وهي تدخّن عندما زارتها فقالت:

- إلين كانت هنا

ربما ينسى نيقولاوس ويتنهي الموضوع إلين.

- إلين؟ هل هي التي ساعدتك؟ لا اعتقد انها تستطيع تحريك السلّم.

سأله بلهجة لاذعة:

- ما الذي يجعلك تفترض ان إلين ترغب في مساعدتي على الهرب؟

وأجابت:

- قد تساعدني من يدري... فقد تفيد من إبعادي عن طريقها. الا تعتقد ذلك يا ليون؟ ما هذا الشجار الذي فصل بينكما وجعلكما تتروجي غيظاً واحقاداً؟

كان هذا السؤال مفاجئاً لم يتوقعها فسألها:

- هل تكلمت عن شجارنا؟

- نعم، تكلمتي.

- وهل قالت شيئاً آخر؟

كان متجهماً للغاية، ولكن تارا رأت الحديث عن الغداة التي كرهتها من اول نظرة بخير طائر.

- أفضل الا اقول شيئاً. لنسى الأمر من فضلك.

- أو تقل ما هو سبب عنادها؟

- كانت تريد ان تراك بصدد عرض الأزياء القادم الذي سيقام في البيا. واعتقد انها ستتصل بك حالما تعلم بعودتك. وعندها يمكنك ان تسألها عما قالت لي.

ظهر عبوس في وجه ليون ونظر اليها كمن يريد ان يتكلم الا انه غادر ظهره ليذهب. وقال هذا انه قد يتأخر عن موعد الغداء ثم خرج وأغلق الباب وراءه بيديه.

مضى اسبوع آخر وكل شيء على ما هو عليه. وكنت تارا لو تستطيع ان تثبّه نيقولاوس الى ان ليون يشبه فيه بقدميه الساعدة فقا. لن تقتنعه في أي حال لأن نيقولاوس الذي اوشك ان يقع في الحفرة المشهود وهو يضع السلم تحت الناقذة تراك الجزيرة على زورقه وذهب الى جزيرة هيوس حيث سيقيم اسبوعاً او اسبوعين عند صديق له.

طرأ بعض التغيير على ليون واصبحت حياة تارا اكثر سهولة فليلاً.

صحيح انها ما زالت تحلم وتخطط للهرب لكن الزائرة عليها احدثت لها نصب.

- هل تشعرين بالاستقرار الآن؟ قالت لي الآنسة اشراحا.

كان الجو بينها جو إلفة وتقارب وهذه هي الساعة الأولى التي امضياها مستمتعين بالسباحة دون أي توتر اعصاب.

نظرت اليه باهتمام كبير وابتسمت استجابة لابتسامته التي اعطتها الطمأنينة بأنه ربما بدأ بالاهتمام بها او ربما وقع في حبها.

- اعترف بأني اشعر ارتياحاً الآن.

قالت وتلك مقدمة بأنه يجب سماع شيء من هذا القبيل دون ان يمنعها ذلك عن التفكير في طريقة للهرب.

كان في تلك الأثناء ينظر الى شعرها ووجهها وشكلها ويعجب بلون بشرتها التي اكتسبت لون الشوكولا العسلي. وعلق على كلامها قائلاً:

- انا مسرور اذا شعرتي. تستطيعين ان تجعلي من حياتنا نعيماً لو ذلك أقررت بالأمر الواقع وهو انك زوجتي منذ الحياة.

- وانستسلم لذلك كسيد معطاء؟

لم يعجبه جوابها الذي خرج من فمها كالسهم.

- لا اريد ان اسيطر عليك. ولكن اذا أثرت غضبي فستلاقين ما لا يعجبك.

لم يعد الجو مسيحياً بينهما. تقبل فكرها وأخذ قلبها ينبض بسرعة وقالت وهي تحدق برجليها:

- قولك بأنك لا تريد السيطرة علي يبدو شاذاً على سمعي بالنسبة، اذ ان اعمالك وتهديداتك المذكورة تناقض اقوالك.

- انت دفعتني الى معاملتك بهذا الشكل. و. . .

لكنها قاطعته وقالت:

- فلاحتك عند ما كنت تتهمني بنظراتك الآن. هل تتوقع غير ذلك من المرأة؟

- انت امرأتي ولي حقوق الزوج.

نبرة الأمر والتحدي لم تتغير. ورأت نفسها عاجزة عن الرد عليه منطقياً ولم تجد سبباً لذلك.

- انا امرأتك بالاكراه، ولا افهم قولك بأن لك حقوقاً عليّ.

- كلا. ليس لفهم.

هزت رأسها بقوة وقالت بحزم:

- فقط اولئك الذين لم يتعلموا يفرضون تلك الحقوق.

- قولين اني لم اتعلم في الحياة؟

توقعت ان يقول اشياء أشد إيلاماً من ذلك. وقد رأت تعابير وجهه طلت انه لا يرغب في الاساءة اليها.

- في كثير من طرقك انت تطبّق الذهنية الغربية ولكن مواقفك من النساء والزواج ما زالت متأخرة. وفي رأيي انك لن تجد سعادتك الزوجية إلا في زوجة يونانية مثلك تأتيك من القرى النائية حيث التقاليد ما زالت قائمة.

كان صوتها وهي تتكلم رصيناً ومعتدلاً. ورأت وهي تتطلع في عينيه السوداوين انها تحبه وانها تكون سعيدة معه لو عرف ما تريده منه. وليون لا يختلف عن كثير من الرجال الذين يفضلون الحب على الرغبة. وكمعظم الرجال لا يفهم ان المرأة لا تستطيع فصل الاثنين. وهذا هو أحد اسرار الطبيعة الغامضة . . . وهو ان الرجال والنساء يختلفون في نظرتهم الى الشيء نفسه. فالمرأة تشعر بالحاجة الى الحب الحقيقي في احضان الرجل والى مباركة الرجل لها بالشعور ذاته.

وكما لو كان ليون يقرأ ما في فكرها قال:

- انا اي متزوج الآن. فلا أرى كيف تستطيع ان الزوج فتاة يونانية من تلك القرى النائية التي ذكرتها.

- تأكد يا ليون اننا لن نبقى أبداً معاً.

كان صوتها حزيناً، ولما لم يعلق بشيء قالت:

- في اليابان القديمة كانت المرأة تولد على حب الرجل لها قبل ان تقبل به زوجاً. ولذا كان الرجل يرسل اليها في صبيحة اليوم التالي ما يرمز الى حبه لها، واذا لم تستلم هذا الرمز فلن يكون زواج او اية علاقة بينها وبين الرجل.

فتح ليون عينيه على وسعهما استغراباً وقال:

- لا اصدق هذا.

- اعرف انك لن تصدقه.

- كل الرجال لهم حقوقهم على زوجاتهم.

شعرت نارا بمرارة في فمها. واغاظ ليون بسبب ما قالت ولم يعلق بشيء. مال ليعض وتركها.

١٣ ـ هل جاءها الخلاص؟

مضى يومان نزل ليون بعدهما الى القرية ليقص شعره. واشترى بعض الثياب من محل مارغاريتا. وفكرت نارا فيما عسى ان يقول أهل القرية بصدد اختفائها عن انظار الناس. فالوحيدون الذين يعرفون السبب هم الخدم الذين يرافقونها.

وربما مارغاريتا ايضاً نظراً لعلاقتها الوثيقة بليون. مضت الاسابيع ثم الاسابيع ثم لم ير فيها نارا الا القليلون. صحيح ان من عادة الزوجة ان تبقى في البيت مدة طويلة ولكن القرية تغلي من الفضول لرؤية العروس الجديدة. كان ليون يأمل في الحصول قريباً على تأكيدات من نارا بأنها لن تحاول الهرب. ولما طالت مدة انتظاره وقع في ارتباك كبير تجاه اهل القرية وتجاه معارفه في العاصمة حيث لم يعد اصدقاؤه وشركاؤه في الاعمال

قادرين على كتمان دهشتهم بسبب احتجاب زوجته طيلة هذه الفترة. ربما نجح ليون في اقناعهم باعطائهم عذراً معيناً. ولكن الى متى سيدوم هذا الحال؟ ربما كان عليه انها انتظر ان تتعب طفلاً.

وتساءلت نارا عما تكون ردة فعله عندما يعلم ان كل آماله ذهبت ادراج الرياح.

وما كاد يغيب عن البيت نصف ساعة حتى دهشت نارا عندما رأت ثلاثة رجال يصعدون نحو البيت على ظهور الخيل. فليكون هم الذين يقتربون من التلة. ولكن دهشتها تحولت الى ذهول سمّرها في مكانها عندما وقع نظرها على رجل لم تصدق عينيها انه رآته. وصرخت وهي جامدة في مكانها:

- ديفد...

هذا غير ممكن. انها رؤيا، انه خيال!

في البداية تمكنت من التحرك وكان كل شيء فيها يرتجف. ديفد هنا ومعه رجلان آخران. كلا!! انها لا ترى أشباه في هيئتها. وفي ظرف غير هذا كانت ستضحك من مظهرهم على ظهر الخيل. كان صاحب الخيل يجر نفسه جلبهم لاهثاً، وهو عجوز يحتاج من تأجير الحمير لزائري القرية.

همست لنفسها:

- ديفد!

- نارا!!

رفع يده ليحييها ولكنه أعادها ليمسك برقبة الحمار خوفاً من السقوط. خطت بعض الخطوات برجلين من عجين وبعقل توقف عن التفكير. هل سيعود ليون الآن؟ ربما لم يلحقهم في الميناء أو في القرية.

- ديفد!

تحركت بسرعة اكبر واستطاعت ان تركض. اسرع ديفد نحو الباب ولكنها سبقته اليه وفتحته بينما كان الرجال يترلون من ظهور الخيل. وفي لمح البصر كانت نارا بين ذراعيه تبكي.

- ديفد، كيف عرفت...؟ كيف يمكن ان تكون هنا؟

اصابتها نوبة من الهستيريا وجعلتها تنتفض. الحرية؟ الحرية هنا بدون أي شك. لا شيء يقف في طريقها الآن... ولا أحد.

كان احد الرجلين شرطياً يونانياً والآخر شرطياً بريطانياً وكان كلاهما بالملابس المدنية. ولكنها لم تكن تعي الا وجود ديفد ولا تسمع الا كلماته الحنونة التي احتضنت بها عبارات الشرطي البريطاني وهو يحاول ان يشرحها على نحو رسمي.

في هذه اللحظة كان داموس واقفاً على حدة يتطلع وهو قلق جداً. طلبت نارا من الشرطي الانكليزي ان يجذب عنهم قائلاً ان هناك مسألة قليلة فقط وأخذ يشغل نفسه بفحص شجرة متظاهراً بأن ذلك جزء من عمله. وكانت عيناه في الوقت نفسه تستقلان من الداخل الى الخارج خوفاً من مفاجأة ليون لهم.

وسألها الشرطي الانكليزي:

- هل تسمحين لنا بالدخول؟ عندئذ نتكلم ومن ثم نتابع خيط قضيتك.

ذهب الشرطي اليوناني وكلّم داموس بلغته. بينما سألت نارا ديفد وهي لا تزيح عينيها عنه:

- ما الذي أتى بك الى هنا؟ لا استطيع ان أصدق ذلك هنا حقاً.

- تمكنت الشرطة من اكتشاف طريق بعد ان أمضوا أسابيع وهم يتخبطون في الظلام.

واخذ ديفد يسرد على مسامعها كيف حصلوا على الدليل من بوّاب المستشفى ولكن بعد ان عاد من اجازة طويلة دامت عدة اسابيع. تحرّرت الشرطة عن كل من اتصل بنارا وكرّروا تحقيقاتهم مع موظفي المستشفى.

وتحول ديفد الى موضوع له علاقة بالتحقيق قاصداً بذلك معانيها فقط لا قال:

- لماذا لم تخبريني ياحبيبتي انه أرسل اليك باقة أزهار؟

- لم أستطع. لا تسألني عن تردّدي في اطلاعك على ذلك يا ديفد. طلبت مسألة عشرة ولك لم أرد ازعاجك.

وهنا قال الشرطي مؤنباً:

- كنا أخفيت الكثير الكثير ايضاً.

وتابع يقول:

- أو انك أخبرت أحداً بذلك لكنا أعدناك منذ زمن طويل.

أضاف ديفد:

- لتبعث الشرطة الأثر الذي حصلوا عليه من الجواب، وألقى بهم الى الزنزانة حصلوا عليه من عامة المتهمين التي عندما ذكروها بالبوذان قالت ان رجلاً ذا لكنة غريبة كان يحاول الاتصال بك عدة مرات. ولكن العاملة امتنعت عن ايصاله بك نزولاً عند طلبك.

ونظر ديفد في عيني نارا ولكنها كانت نظرة تأنيب وتابع كلامه قائلاً:

- قلت لعاملة الفاكس ان هذا الرجل يزعجك بإلحاحه.

ايمات برأسها واحمرّ وجهها اعتراضاً بالقلب.

- كان يجب ان اخذلك حتى كل شيء بديفد... ولا اعرف شذا قصرت في ذلك.

كانت وهي تتكلم تعود بافكارها الى اللحظات المؤلمة التي أمضتها بين ذراعي الرجل وهو ما زال غريباً عنها. فكيف تشكوه الى ديفد وهي شريكته في انفعالاته العاطفية؟

- لو اخلصني لما خطفك. الم تعرفي ذلك؟

لم تحب بتي، لأنها ليست موقنة من تأكيدات ديفد. كيا تعرف زوجها وقدرته في الحصول على ما يريد عندما يصمم عليه.

عاد الشرطي بعد ان حاول استخلاص بعض المعلومات من داڤوس الذي قال عنه انه لم يفتح شفتيه كأنه اخرس. فقدم الشرطي الانكليزي زميله البوذاني باسم فيلوس مراكيس وقدّم نفسه باسم توسكار ستوارت.

قال فيلوس: ان داڤوس مرتعب من رئيسه بالرغم من اني أعتقد انا ايضاً.

ودخل الجميع الى البيت. وهناك في حرارة الغرفة الرطبة شعرت نارا بيديه نفسائي ساعدتا على تقييم ما اخطرها من معلومات وحاولت ان تفهم الوضع الجديد الذي طرأ عليها وتكتبا لأول مرة من تذوّق طعم الخلاص والانفلات من قبضة زوجها ومن سجنها المؤبد. كانت الآن اكثر وضوحاً في اجابتها على اسئلة الشرطيين. بينما كان ديفد جالساً يستمع. وفيما كانت توضح لهم بعض نواحي حياتها سمعت ديفد يئن عندما سمعها تتكلم عن الانذار النهائي الذي هدّدها به زوجها وعن الخيار الذي عرضه عليها، أي إما الزواج او الفناء معه بشكل اجباري.

- اذن انت متزوجة؟ يا له من حيوان!

- كان إما الزواج واما الخراب الأكبر كي أوضحت لكم.

كانت تبكي وقد أثر فيها منظر ديفد الحزين وجهه الوفي المخلص.

- اظنك كنت تفكر بما انا فيه من تعاسة يا ديفد؟

كان يرتعد وهو يتكلم.

- لم تستطع التفكير بأي شيء سوى ان الخيط في ... التصورات!

كنت أحاول ان اتخلص التفكير في ان الفتاة التي أحبها تعيش في عذاب.

لاحظت نارا انخفاض صوته والأثر في عينيه وتعبير الاشمئزاز على وجهه الذي ما زال يحتفظ بها في السابق.

تعرف نارا ان ديفد لا يستطيع ان يتحمل حتى التفكير في أن رجلاً آخر امتلكها. انها تقدّر احساسه، ومع ذلك...

كان يتمتم لنفسه بحدّة:

- متزوجة، متزوجة من رجل آخر غريب... وهذا الغريب تسبّب لها في كل ذلك!

- أكان يستطيع ان يتبنى ابداً ان كنت متزوجة من رجل آخر؟

كان سؤالاً فضولياً تفوهت به بعد ان شعرت باحساس غريب في شرودك هذا. كان سؤالاً فيه شكوك غامضة كالضباب. يوم احتطافها كانت تحب حطيبها حباً جماً وظنت انها ما تزال تحبه في ساعة اتخاذ قراراتها، ولكن كان أيضاً عرفاناً بالجميل عندما وجدته امامها فجأة. فهل من الممكن ان تحب رجلين معاً؟

- انا... انا... يجب الذهاب، لا توجهي الى اسئلة كهذه في الوقت الحاضر! لا تستطيع ان أركز افكاري.

- الم تفكر في انك قد تفاجأ بهذا الاحتمال؟ احتطفت، ولكل احتطاف سبب. والرجل الذي احتطفني له مآرب فيّ...

- كفى يا نارا!

حاول الشرطي البريطاني ان يدخل في صلب الموضوع فقال:

- دعونا نبحث اموراً اكثر اهمية. أين زوجك الآن؟

- في الغربة.

- تريد ان تحقق معه.
- كيف حاترتم عليه؟
- بكل سهولة. بواسطة الاكتيول او البوليس الدولي.
ادخلت هذه الكلمة رعشة الى صميمها. اذ تعني انهم وضعوا زوجها في مصاف المجرمين. فقالت بانزعاج:
- الكتيول...
قال الشرطي الانكليزي:
- أرغب في توجيه المزيد من الاسئلة اليك ريثما يأتي زوجك.
فركزت نارا كل انتباهها عليه. قال:
- بالطبع تزوجت من السّر بريدنيس اختيارياً. وبما لا أفهمه هو لماذا لم تستجيري بالرجل الذي زوّجك؟
اضاف ديفد:
- هذا صحيح. لماذا لم تستعيني به؟
قصت نارا عليهم قصتها من أولها الى آخرها، وهز الشرطي اليوناني رأسه حتى قبل نهاية قصتها فقال:
- لا توجد قضية ضده.
لكن الشرطي الانكليزي تمتم قائلاً:
- حدثت عملية اختطاف وفي انكلترا بالذات...
- كان الاختطاف بنية الزواج. في اي حال، لا تستطيع هذه السيدة الشابة تقديم إفادة ضد زوجها.
اخاط الشرطي الانكليزي من هذا القول. اما نارا، فلم تتحمل صورة زوجها وهو يقاد مقيوداً عليه والخطورة الى انكلترا. ويعرف ليون انه حتى لو حدث هذا لن تستطيع زوجته ان تشهد ضده حسب نصوص القانون.
وفطن ديفد الى نقطة معينة في عبارة نارا... ربما ارتياحها لعدم وجود قضية بحق زوجها... فسألها وهو يثبت نظره في عينيها:
- هل... ما زلت تحبينه؟
تردد في بدء سؤاله. ورأت نارا العلاقة بين صيغة هذا السؤال وصيغة سؤاله الأول عندما وصل الى بيتها، وهو اذا كانت ما زالت تحب زوجها.
أجابت نارا:

- كل ما أريده الآن يا ديفد هو ان أبتعد عن هنا تماماً واعود الى انكلترا حيث سأحاول ان انسى كل شيء.
- افهم ذلك يا عزيزتي. تستطيع ان تأتمنيني في اخلاق.
ابتسمت له. لكن ابتسامتها هذه المرة لم تعكس تلك الابتسامات التي كانت تعبّر في السابق عن ارتياحها لدى سماعها كلمة «عزيزتي». ولم تحلم بأنها ستقابل هذه العبارة بفتور كما قابلتها الآن.
آه لو ان ليون يعرف هذه الكلمة... ولكنه لا يعرف كيف يستعملها! انها متأكدة من ان هذه الكلمة... عزيزتي... لم تخرج من فمه مرة واحدة طيلة حياته.
قال رجل البوليس اليوناني:
- كم سيأخذ زوجك من الوقت ليعود؟ بالرغم من اننا لا نملك دعوى ترفع ضده، نريد فقط توجيه بعض الاسئلة اليه. وبريد ان نعرف بأننا سنأخذك معنا.
توقف. ونظر الى عينيها نصف المغمضتين وسألها:
- هل تغمرين على تركه؟
صرخ ديفد غيباً حنيا:
- طبعاً تريد ان تتركه! ألم توضّح ذلك بنفسها؟
بدت نارا تحضر تصويغها بعض الوقت. فطلب الشرطي الانكليزي فنجاناً من الشاي، بينما فضّل اليوناني شراباً مرطباً. اما ديفد فطلب قهوة فرنسية مع قطعة حلوى.
بعد فترة أقبل ساقيان يطلبانهم وقدّمها اليهم. وقد علم بوجودهم من دافوس الذي كان قلقاً على الوقت. وهيا هم سيمكثون بتناول مرطباتهم.
قال ديفد لنارا:
- ماذا لا تنبضين وتوشّرين ثيابك؟ لا تستطيع التأخر عن زورق نقل الركاب. سيأخذنا الى الفندق عند الرمق لنقضي ليلتنا هناك.
تساءلت نارا لماذا تقضي ليلتها في الفندق وهي موجودة في بيت. عما لاشك فيه انها تريد ان ترحل عن هذه الجزيرة حيث تعيش وحيدة في صحبتها وأمت المراقبة ليلاً ونهاراً. الا انها فكرت بالمستقبل والثروات التي ستجري وراء ظهرها. كلا، لن تعود الى هناك ولن تستطيع ان تبدأ حياة

جديدة مع ديفد . وكل ما تريده الآن هو الرحيل أولاً ومن ثم التخطيط لما تريد ان تفعله بحياتها بعد ذلك.

١٤ ـ لن أقبل بالهزيمة

كانت تدرك مطلقاً أن زوجها لن يستطيع ان يدخل الى قلبها الخوف من احتمال ان يفقد عمله او تتعرض للاذلال بسبب ما فعلته من طلاقها. وبعد ان عملت قصارى جهدها لكي تبدو على طبيعتها ولم تكشف عن حقيقة ما يجول في خاطرها، كان الرجال الثلاثة يتحدثون بحماس عن كرة القدم. كما لم تهتم المرأة بالحصول على احترامها. ورأت دافوس يسرع اليه ويكلمه، ولم يتمهل ليرى ليستمع الى طبيعة حديث دافوس فلسوء الحظ تعرف تارا انه لا يحسب نظرات كهذا حساباً ولكن وضعه قد يسبب له كثيراً من المصاعب . . .

دخل بقامته الضخمة فبدت كل من الرجال الثلاثة وقد صاروا اقصر مما يبدو له سبب وجودهم في بيته. لم يبد لتارا انه تأثر، وكان طيلة الوقت يتنقل بنظره

www.liilas.com

من الرجال الى زوجته وبالعكس. راقب عيب مرتين على ديفد وفي كل مرة كان يكفهر. احترت نارا بثبات جأشه وبثقته في نفسه، وتأكد لها ان ميكشتحهم بخطر سنه التي ورثها عن أجداده الوثنيين.

بعد ان انتهى الشرطيان من احديث ومن إلقاء الاسئلة التي كان يجب عليها بالقضاب او لا يجيب، التفت إلى امرأته وقال:

ـ الواضح انك قلت لهؤلاء الرجال انك تزوجتي لمحض اختيارك.

أجابت بالقضاب:

ـ نعم، قلت ذلك.

وأدارت وجهها عنه بالرغم من ان نظراته كانت تحذر من العطرسة أو الغضب. بل كان فيها نوع من الحزن. وهذا ما ارادت نارا ان تتفاداه.

ـ في هذه الحال، ليس لديك اي شيء تشتكين أو تتذمرين منه الان.

قال ديفد بغضب مكبوت.

ـ بل على العكس. لديها الكثير لتشكو منه! اخطفها يوم حفلة زفافها...

بسأفة واحدة قبل ان تزف الي...

فالتفت ليود اليه وقال:

ـ كانت نارا قد وعدتني بالزواج قبل يوم زفافها لمدة طويلة. فهل من المعقول ان تخدل عي لتتزوجك؟ هذا شيء لم أفعله، وهي تعرف في صميم قلبها اني حسناً عملت باحتطافها...

ـ الان كانت خطوبة لك؟

حدق ديفد وهو لا يصدق في وجه الرجل الذي سرق عروسه ثم الى وجه العروس نفسها. كان وجهها متورداً وكان العرق يتصبب من جبينها. قالت:

ـ هذا غير صحيح. مستحيل. لم أسمع عن هذا الرجل الا عندما كان في المستشفى.

سأل الشرطي الانكليزي حائراً:

ـ هل هذا صحيح؟

وسأل الشرطي اليوناني بدوره:

ـ كانت خطوبة؟ اذا صح هذا... فالخطوبة في اليونان هي بدرجة الزواج تقريباً. والخطوبة لا تفسخ الا في حالات نادرة.

أجابت نارا بصوت جاف لم تكن تعرفه هي نفسها:

ـ لم اكن خطوبة الى السيد بترياديس ابداً.

فقال ليود:

ـ اني لم أذكر كلمة خطوبة.

ولدهشة الجميع اقترب منها ورفع ذقنها بقوة وقال:

ـ انت وعدتني بالزواج. ولذا فاني اعتقد انك لن تكذبي يا زوجتي. هل وعدتني ام لم تعديني بالزواج؟ وغيرها من ذلك! جرة اخرى منحتني اياها بنظرة قاسية وجاداً إياها على اعطاء الجواب فوراً.

ـ نعم... نعم. وعدته بأن أتزوجه

كان صوتها مخنوقاً وصحق ديفد عندما سمعها وقال وهو يهز رأسه:

ـ غير ممكن! ماذا جرى لك؟ مني تعرّفت عليه؟

أجابت نارا:

ـ عندما كنت في المستشفى.

كان وجهها ملوناً وجهه القوي. ووددت لو تستطيع ان تخفي عن الانظار ريثما تستجمع قواها وبدت أعصابها النهارة وتابعت كلامها قائلة:

ـ كان يعتقد ان كلاً منا حلمٌ للآخر. واقتعني في مرة من المرات اننا متلائمان تنسجم مع بعضنا.

ـ متى كان هذا بحق السماء؟

ـ قبل يوم الزفاف بأسبوع يا ديفد.

ـ قبل التاريخ الذي عينته لزواجك. ووعدتني ان تخدلي عنك لتتزوجي.

ـ هذا مستحيل! أتكرين ذلك يا نارا؟ تكذبين!

ـ لا تستطيع انكار ذلك. اعترفت في هذه اللحظة بأنها وعدتني فالزوجتي لمحض اختيارها، ونحن نتوقع ولادة طفلنا الاول...

ـ كلا؟

خرجت هذه الكلمة من فم رجل يائس ويبدو راقماً يده كمن يريد ان يضرب هذا الرجل الوقح، وتابع احتجاجه قائلاً:

ـ نارا، انت لست...

شعر ديفد ان قواه غادرت فارتمى على كرسي وهو ينقل نظره بين ليود ونارا التي وجدت نفسها تقارن بين الرجلين. كان ديفد ينقصه الكثير من

رجولة ليون. ولكنها انشغلت عليه وتفرق عواطفها من أجله لأنه كان يحميها من كل قلقه وإزعاجاته. وبالرغم من انها تعلم تماماً انه يعجز عن انقاذها من هذه الورطة كما تعجز هي، إلا انها لا تشك في أنه يألم مما حدث. وبعد فترة قالت بصوت هادىء وهي تنظر الى دقيقة:

- اني لا اتوقع ولادة طفل. وزوجي اركب خطأ في حسابه.

لم يصدق ليون ذلك وسألها بحدة:

- هل هذا صحيح؟

- لا يرضي أي شيء بك يا ليون. فأنا ذاهبة مع هؤلاء الرجال. ارجو المغفرة، فاسمحوا لي ان أوضب حوائجي وسأكون جاهزة في أقل من ربع ساعة.

- انتظري يا نارا! لا تستطعين تركي! هل تسمعين؟

قال الشرطي البريطاني:

- لا شيء يستطيع منعها من ان تأتي معنا. أنت احذفها بصورة غير شرعية.

فنظر ليون الى نارا وسألها:

- هل تقدمين شكوى ضدي؟

- انا...

تلعثمت. وارادت ان تسب له بعض القلق. ولكنها لا تستطيع ان تقول له بأنها ستفهمه امام الشرطة بينما هي لا تنوي ان تفعل ذلك.

- كثيراً ما قلت لك توقعي ان تريني في السجن ياعزيزتي. هل ما زالت هذه الفكرة تراودك؟

- قد يكون هذا ما ستجنين.

- لم أجبني على سؤالي بعد.

- ليس لدي شكوى ضدك.

دهش الشرطي سوارت فهتف غير مصدق:

- نارا؟!

ولكنه لم يضف أي كلمة أخرى.

- وهكذا فان الفكرة لا تراودك الآن؟

- كلا.

- مضى زمن طويل منذ ان قلت هذه الكلمات. اما الآن فلا اريد ان أراك

في السجن.

بعلق الشرطي مرياكيس قائلاً:

- ان هذه نهاية التحقيق. ان هذه السيدة وعدت ان تتزوجه ثم تخلت عنه وتزوجت شخصاً آخر. ويخيل لي انها لا تعرف أياً منهما تختار. ويعتبر الناس من مثلها طائشة فيفقدون احترامهم لها وتبقى غرباء طوال حياتها...

اهتزت نارا من هذا الكلام ومن احتمال سخرية ليون منها. ومع ذلك فكل شيء فيه يجذبها، ووقاحته اللذيذة من أي شيء آخر.

- انا جاهزة للحضور ثانية.

لم يعبر على جوزيفا ثلاث دقائق حتى كان ليون عندها في الغرفة. وراءه واقفاً يضع يداً على الباب واخرى في جيبه.

لم تحمل نظراته وحدات من هذا السكوت الذي يشبه السكون قبل العاصفة. حاولت وهي تشعر بالخوف لأنه قد يمنع في منعها من الذهاب:

- ماذا تريد؟

- هل صحيح انك لست حاملاً؟

كان كلامه ناعماً ولكن فيه تهديداً ولكنها لم تتجاسر على الكذب، فأجابت:

- نعم، صحيح. وهذه المرة كان الخطأ لطيفاً مني.

كانت وهي تتكلم تضع البيادما في حقيبة على السرير وهي تتابع الفحص.

- اني لا أقبل الطريقة يا نارا.

- يجب ان تقبلها هذه المرة. انا حرة الآن وانت خسرت الجولة الاخيرة!

وعندما كانت تضع بعض الأشياء الداخلية في الحقيبة قالت:

- سأعيدها كلها اليك مع الحقيبة.

- اخرسي!

اخذ قلبها يخفق بسرعة.

- ماذا يعمل الشرطيان الآن؟

- لا تقلقي. بالقليل بعض الاشياء. اما شرطيك الانكليزي فكاد يهرّ لأنه لا يستطيع توقيفي.

- انا لا أرغب في ان أراك موقوفاً.

- نارا؟

- لأني لا أحقد.

وصمت آخر فظمة اعترتها من الخارور ووقفت مرتبكة لا تدري ما تفعل وسمعت في الخارج عصفوراً يزقزق.

- تعالي يا نارا!

لم تجب. بل ذهبت الى الخزانة وأخرجت منها فستاناً وضعته في الحقيبة وسفرة وضعتها على السرير. ولما استدارت كان ليون واقفاً أمامها تقريباً. فسلّمها اليه ليجعلها تستسلم كما كانت تفعل كل مرة في السابق. وهمس في أذنها:

- لا تستطيعين التخلّي عني. انت لي يا نارا. انت ملك لي. لن أدعك تذهبين... ابداً، ابداً!

- لا تستطيع عمل شيء الآن.

- انك تخيفيني. هل تعتقدين اني سأسمح لزوجتي ان تتركني... لتذهب مع رجل آخر؟

حدقت فيه مستغربة وقالت:

- مع رجل آخر؟

- هذه السكينة المتكوّمة على الكرسي في غرفة الجلوس. لا يلائمك هذا الرجل بأحد! انت بحاجة الى رجل! انت بحاجة الي!

- لا احتاج لا اليك ولا اليه. لن اتزوج ابداً... وقد يعزّيك هذا!

- لكنك متزوجة الآن.

- لن أكون زوجة بعد بضعة أشهر!

افلتت منه وركضت لتطبق عليه الحقيبة. وليحاولت السترة والحقيبة ولكنها وجدت ان ليون قد سدّ عليها الطريق.

- يا لعبة...

وتوقف. عندما سمع وقع أقدام مسرعة تصعد السلّم. وفتح الباب فجأة فدخل ثلاثتهم الى الغرفة.

- ماذا جرى؟

وبدلاً من ان تجيب على سؤال ديفد سلّمته الحقيبة.

- أبعدني عن هذا المكان.

كانت تبكي كالطفل وارتمت بين ذراعي ديفد قائلة:

- اريد ان أعود الى الكنتري!

خشيت من ان ليون سيقدم على البهلة. ولكنها رأت انه تراجع امام تلاثة رجال وبدا عليه الترقد.

- هذه ليست النهاية يا نارا. ستعودين!

كان كلامه كلام رجل واثق من نفسه. ولكن نارا خرجت من الغرفة يتبعها ديفد والشرطيان.

كانت على الزورق عندما تكلم ديفد دون ان ينظر اليها:

- لاحظت ان هذا الرجل مسيطر عليك. أليس كذلك؟

- نعم يا ديفد وكان ذلك منذ أول لحظة رأيته في المستشفى.

- ومع ذلك لم تقولي شيئاً.

- هذه الأشياء لا يتكلم عنها الانسان.

كان تلامسها واقعياً وكان فيه نوع من الاعتذار.

- هل حاولت ان تتخلصي من هذه السيطرة؟

- طبعاً، لأني لم أرد الا الزواج منك.

التفتت الى حيث كان الشرطيان واقفين على متن الزورق. كان الشرطي اليوناني في طريق عودته الى البار والانكليزي الى الكنتري، وكان هذا الأخير محتاطاً منه لأنها قرأت عليه الفرصة في القادة دعوى ضد ليون، ولو لم تكن تزوجت منه لكانت الدعوى أقوى بكثير.

- والآن لا تريدين ان تتزوجيني.

- انت قد لا ترغب في الزواج مني.

اومأ ديفد بالإيجاب. أما هي فتمتمت:

- كانت تكون غلطة كبيرة لو تزوجنا، ولكننا كنا واثقين اننا نحب بعضنا.

لم يعلّق على ذلك بشيء. ولكنها تابعت تقول بالصوت الناعم الذي كان ديفد يحبه:

- انه لمحزن جداً يا ديفد، ولكن من خطأ اننا اكتشفنا ذلك الآن.

عبس فجأة وأجاب والألم يعتصر في قلبه:

- لو لم يختطفك هذا الحيوان لتزوجنا وكنا سعيدين الآن.

- سعيدين لمدة وجيزة فقط. كلانا متأكد من ذلك. ولكن مع مرور الوقت كنا اكتشفنا خطأنا يا ديفد.

- كيف تلومني ذلك؟

- لأنها اكتشفتنا ونحن لا نحب بعضنا.

لم ينكر ذلك بل اكتفى بأن تنهد. لكنه التفت عليها ان يدعها تتناول شيء من الطعام.

- سيكون هذا آخر ما يهمنا.

واعلا الى مطعم الزورق تاركين الشرطيين يتحادثان.

اتفقوا ان يأخذ دينغ وستوارت وتارا الطائرة للعودة الى انكلترا. ولكن قبل هم ان طائرة النساء كانت كلها محجوزة. ولا يوجد الا مكان شاغر واحد في طائرة اليوم التالي.

- هذا يعني انا سنبقى في الفندق.

تذمر لوسكار من اضاعة الوقت، اولاً في عدم توفيقه بالقاء القبض وثانياً في عدم تكليفه من السفر.

- اقترح ان نزور المدينة طالما نحن في البيا. لنذهب الى زيارة الآثار في الاكروبوليس.

لم يكن دينغ متحمساً لهذه الفكرة. ولكنه رافقها وفي الماء الخوف كانت تارا ان يمكنها التجوّل وحدها.

وأجابها دينغ بشيء من الاغياظ:

- اظن انك مسرورة لأنك لم تتمكني من العودة الى انكلترا حالاً.

- لا تقل تفاهات يا دينغ.

- ليست تفاهات. يبدو لي انك مسرورة بوجودك في اليونان... بلده!

تنهدت ولم تقل شيئاً، وتابع دينغ يقول:

- ما زالت له سيطرة عليك رغم بعده عنا بأميال. هل انت أكيدة من عدم حبك له؟

وجّه سؤاله هذا غيظاً واحتقاراً. وهذه المرة الاولى التي تورى فيها دينغ بهذا النزاع ولكنها لم تكن تلومه.

- اذا اردت الحقيقة، اني أحبّه.

- كنت اعرف ذلك.

كانت هناك نبرة من ازدراء.

- اذن لماذا انت هازئة منه؟ من الواضح انك تستمتعين بأن تكوني تحت

سيطرة الغير. ذهلت عندما رأيته يرفع رأسك من فقتك بهذه الطريقة الوحشية، وذهلت اكثر عندما لم تحتجي بكلمة او تقاومي حركته بحركة مماثلة. اي نوع من النساء انت؟

- لا اعرف. ان شخصية ليون قوية الدرجة الى... أرى نفسي بلا حول...

- وتحبين ذلك؟ هذه جاذبية الوحوش، هيه؟ وانا مثل مئى تستطيع فعلة مثلك ان تتحمل عبوديةً يفرضها عليها رجل غريب؟

- لو كنت لأني ارفض هذه العبودية. فلست انك حنت ذلك مثلما حنت التي لديه...

كان وصفها شاعراً. وكانت تمأ لمجرد التفكير في انها لن تستطيع العيش مع ليون. فقط لو انه يحبها... لو انه يسود عليها دون ان يقسو... لو يحبها ويمنحها احترامه وحنانه...

لا تتحمل حياة دون هذه الاشياء. ولكن كلمته كانت شريعةً قطعاً ولا تناقش. كانت ارادته فوق كل ارادة، وأوامره تنفّذ دون جدل. ولكن بقدر ما تحبه تارا بقدر ما تحب ان تكون بعيدة عنه.

ضايقتها اعترافات دينغ على كل ما تفوله او تفكر فيه. فاقترحت عليه ان يأخذ المكان الشاغر على الطائرة ويعود الى انكلترا وستلحق به برفقة الشرطي. وافق دينغ وكان الوضع مريحاً. وبعد ان رحل شعرت ان كل شيء تركها، القوة والنشاط والحيوية. ولم يلتفت الشرطي ستوارت من الامها النفسية بمعاملته البعيدة عن المجاملة وهما ينتظران اثناء وجبة العشاء.

- كل هذا مضيعة للوقت! وكان لا يعني لو اني تكلمت من زوجك هذا بعقله معي. اني انكلترا! لم تفكر قط انك تزوجته؟ فقد قلب هذا خططنا رأساً على عقب.

- يسرني ان ليست هناك قضية ضدّه.

- هل تحمين هذا المحتال؟ واذا كنت تحبينه، ماذا تعملين هنا؟

- لا اعرف...

نظرت اليه جامدة الا تبكي امامه.

- لا تعرفين؟

وغيّر صوته ولهجته:

ـ يجب ان تعرفي! انت تحبينه؟

تجاهلت ذلك وقالت وهي تمسح عينيها بيدها:

ـ انت متضايق لأنك خسرت القضية ضده. لكن دعني أقل لك هذا يا سير ستوارت: لقد خسرتها لأني اقنعت زوجي من المحاكمة بدلاً عني ان لم أعطف واني تزوجته باختياري!

كان الذهول واضحاً في عينيه:

ـ انت... ؟ هل تظنين ان الناس يصدقونك؟ لا تنسي، كنت في طريقك الى العميد. النساء!... ولو

لبضع دقائق! تقولين انك تريدين ان ترجعي الى الكاثار! أيتها حاطبة هذا الذي تريدين العودة اليه!

حوّلت نظرها عنه عندما قال هذا، ولكنها أقرّت بأن ما قاله من ابيه ترغب في العودة الى زوجها صحيح. غير انها قالت:

ـ سنعود الى الوطن غداً. هل حجزت مكانين لنا فعلاً؟

كان خائباً عندما أجاب وهو ينظر اليها نظرة خاصة:

ـ بل رغبة قوية في ان تركك تتصرفين حسبما شئت.

في النهاية رفعت رأسها وتطلعت فيه:

ـ هل تفعل هذا؟ لن تتركني هنا وحدي...

ـ طبعاً، لن أتركك وحدك.

في صباح اليوم التالي خرجت نارا لتتجول في المدينة. وبعد زيارة عدة اماكن انتهت الى ساحة الدستور حيث جلست في قهوة خارجية وتناولت فنجان قهوة. بعد ذلك زارت الدهاب الى الاكروبوليس حيث كانت تأمل ان تجد الهدوء ولو نسبياً وحيرة. تجولت بين خرائب المدينة وتصورت كيف كانت أثينا الرخامية في تلك الأيام الغابرة عندما كانت الجماهير تجتمع لاحياء ذكرى أثينا رمز الحكمة.

مضى الوقت ولم تشعر نارا بمروره لولا ان الجوع نبّهها فجأة. وكانت الشمس عند الغروب عندما عادت الى الفندق. وما كادت تدخل البهو حتى سمعت شخصاً ينادي، والتفتت ناحية الصوت رأت نيقولاوس.

ـ ماذا تعملين هنا؟ هل... ليون معك؟

ـ لا هربت يا نيقولاوس.

قالت ذلك بصوت رتيب لا حياة فيه.

ـ هربت؟ تحدثت في الهرب؟ كيف؟

لم يبد مندهشاً وقال ان الهرب على سوء الحظ دعاها للجلوس في زاوية هادئة من القاعة. فقصّت نارا كل ما حدث وقصّ عليها بدوره كيف هرب بعد ان وضع السلّم تحت النافذة تاركاً بلنج في قصة ليون.

وقال معلقاً:

ـ وليون أسرع مني ويستطيع ان يسعفني.

ـ لا أتوسّمك على قرارك، ولكن ماذا لم تتصل بي بعد ذلك؟

ـ فضّلت ان أعطي بعض الوقت لأبعد عني الشكوك.

لكن ليون شك في نيقولاوس ولا تعرف نارا لم يلاحق الموضوع. ربما حاول ان يعجب نيقولاوس ولكنه لم يعثر عليه. فسألته:

ـ لماذا انت هنا الآن؟

تردّد قبل الاجابة وحاول عدم النظر اليها عندما قال:

ـ زوراني في سراديس الآن.

ـ هل تعود الى هيدرا عن قريب؟

ـ نعم... هل تفكرين في العودة الى هيدرا؟

هزت رأسها، ولكنها لم تكن متأكدة من انه اقتنع. مضت برهة سكوت، ثم قال:

ـ هل تحبين ليون يا نارا؟

وجد نيقولاوس صعوبة في توجيه هذا السؤال. تطلعت اليه بحيرة واضطراب ولم تسرع الخدم في تقديم طلبتها حتى تُمثل جفاف حلقها.

ـ نعم... ان أحب ليون. ولكني لا استطيع البقاء معه بانيقولاوس. انا انكليزية واريد ان يحميني زوجي. سيعطي اشارة الزوجية في اليونان لقضي بلا حب. أو ان احب رجلاً من جانب واحد فقط هو جانب الزوجة. لأن النساء هن اللواتي يقعن في حب ازواجهن.

كان كلامها كله مرارة.

ـ انا انكليزية واحب ضروبي لي... احب من طرف زوجي.

ـ انت حزينة بسبب كل هذا يا نارا؟

- طبعاً انا حرية.

لاحظت تعبيراً غريباً في عينيه ولكنها لم تعر ذلك أية أهمية، وقالت:

- أية امرأة تحب زوجها لا تحزن اذا هي تركته؟ ان حياتي تكون سعيدة لو أحبني ليون. طبعاً انا حرة.

وبذلت جهداً كبيراً لتمنع نفسها من البكاء. قال نيقولاوس:

- استطيع أن أحبك كثيراً، لكن يبدو ألا عمل لذلك. هذا ما أراه الآن.

- كان لطفك عظيماً عندما أبديت استعدادك لمساعدتي.

- لكني لم أتوصل الى أية نتيجة. هل غضب ليون؟

- لا تسألي. كاد يقتلني!

- انه حادّ الطباع.

وبينما كانت ترتعد بعض الشيء ابتسم نيقولاوس ابتسامة خفيفة وقال:

- ليون يجتذب النساء في كل الأوقات. اما الهندوس مثلي فليسوا مرغوبين.

- ستجد الزوجة الصالحة لك في يوم من الأيام يا نيقولاوس.

هز كتفيه وتحوّل الى موضوع آخر:

- ستتركُ إلين حيدرا وتسكن في الثيا.

تسارعت دقات قلبها وسألت فوراً:

- صحيح؟ اذن انتهت العلاقة بينها وبين ليون؟

- انتهت. لا تنسي ان ليون متزوج الآن. اليونانيون يحترمون الزواج أيضاً!

تكلمت تارا وكان صوتها بلا حياة هذه المرة أيضاً:

- في نيتي ان أطلّقه.

أي الخادم بطقسها وكانت تارا تشعر بظمأ شديد. قال نيقولاوس:

- الطلاق لا يعجبه...

وتوقف فجأة عن الكلام وقد قطب جبينه ومن ثم قال وهو ينظر الى ساعته:

- دعينا نغير موضوع حديثنا... قلت ان الطائرة لا تقلع قبل منتصف الليل؟

- نعم. هذا اذا أتى الشرطي وراقني وقبل انه لن يعتقلني.

- هل تحبين قضية بعض الوقت على زورقي؟

- يجب ان أكون في انتظار عند الحادية عشرة إلا ربعاً. ان يكون لدي الوقت الكافي اذا هلّ ان أبقى هنا في انتظار المستر ستوارت. أشكرك لطفك يا نيقولاوس ولكني لم أكل بعد.

- يمكننا تناول شيء على الزورق، فإنّ بحّاري ماهرون في الطبخ

كان منتبهاً للمحمول على جوانبه. لا تستطيع ان تخاطر بالوقت، فقد يحدث حادث ويؤخرها على الطائرة. ولكنها في نفس الوقت لا تريد ان تخيّب آمال نيقولاوس فابتسمت له موافقة.

استغلاً ناكسياً وكانا الآن على غير البحث القاهر الذي ذكّرها ببحث ليون الجميل... وبالموقف الذي استولى عليها عندما صعدت اليه.

- اذهبي الى غرفة الاستقبال وسألحق بك بعد لحظة.

ارادت ان تسأله أي الجهة تأخذ. ولكن اين غرفة الاستقبال؟ وبالفعل هذا الظلام... هذا الزورق...

- صه! اخبر يا تارا.

سمعت صوتاً ناعماً ولكن ساخراً. وأحست كأنه ضربة سكين تخترق صدرها فدارت على نفسها.

- وهكذا اختطفت مرة ثانية... بمساعدة صديقي الحميم نيقولاوس.

كان واقفاً بثياب وكأنه هدوء ولفة.

- يملّ الانسان من تكرار العملية نفسها كل مرة. حاولي ان تسلّيني في اوضاع أخر ومستجدين اني لن اكون مسلّ ولا عيا قد افعل. تعالي الى هنا!

ولكنها بدل ان تستجيب الى طلبه هُمّت ان تهرب من الغرفة او ان تقذف بنفسها الى الماء فسبح الى البر.

إلا ان يداً قوية أمسكت بها ومنعتها من الحركة ووضعتها وجهاً لوجه مع زوجها... وهذا ما رأت فهمت فاعلة:

- اذن هذا الزورق لك.

وقبل ان تضيف اي شيء شدّها اليه ولكن بأسلوب طريقة ممكنة وقال:

- حبيبتي، احببت ان أمازحك بتخويفك قليلاً ولكني رأيت الرعب يدبّ فيك. لا تخافي مني بعد الآن يا عزيزتي ويا حبي...

تلاشى صوته تدريجياً ولم يعد التعبير الظالم فالتقى بأن يضمّها بين ذراعيه وان يسمعها دقات قلبه. أصابها ذهول لا يوصف امام هذه

المعبودة. ولا يهم كيف حدثت. المهم هو ان احساساتها كانت تتجاوب بعمق مع هذه اللحظات الصبية وكانت وهي تتفيأ على باقة مسرته بكل قواها تقول بصوت كاد يكون صراخاً:

- لا أفهم بأيون. لا أفهم. كيف حدث ذلك؟ لا استطيع ان أصدق. قل لي ان هذا حقيقي، انك... انك تحبني.

بكت وكان البكاء يخلط بصوتها. وسمعته يهمس:

- كم أحبك... انا يجنون بحبك!

فاقتها عناقاً طويلاً واستسلمت له استسلاماً حالماً كلّه حنان وعطف. وفي النهاية سألته:

- كيف حصل كل ذلك؟

فقادها الى غرفة الاستقبال حيث كانت الأضواء الخافتة اكثر ملاءمة لتبادل حديث هادىء، في جو تزينه باقات من الأزهار المعطرة وموسيقى يونانية ناعمة تراقص ذبابل الزورق على سطح الماء.

كان ليون وتارا جالسين وأصابعهما متشابكة. كان هو المتكلم. علمت عن اشياء كثيرة، منها خوفه الكبير عندما رآها في الغابة مهدّده بأن تقذف بنفسها وغضبه الذي تلا ذلك وكان نتيجة هذا الخوف.

ثم اطلعها على شكه في نيقولاوس وكيف صمم على ان ينتزع منه الحقيقة عند عودته من جزيرة خيوس. وكيف حصل عليها وهدّده ليون باجراءات صارمة لوتجمع في مشروعه لأنه كان يحب امرأته.

اما الجزء التالي من معلومات ليون فكان يتعلق بخير فاجأها. وهو ان الشرطي الانكليزي سيوارت اراثي ان يتصل به هاتفياً ليقول له ان تارا كادت كيلا تكون سبباً في تقدمه الى المحاكمة.

- عندما قال لي انك كنت تؤكدين جهلك مني بمحض اختيارك عرفت انك تحبينني. وعبره كونك ارتكبت كذبة لتنقذيني برهان قاطع على حبك لي. لا أفهم باحبيبتي كيف احببتني ولم تعرفي من كل معاملاتي السيئة لك.

عبد عليها وفي ملامحه ندم حقيقي على كل ما بدر منه.

- كنت مالياً أرفض ان اقع في الحب. وكنت اكره اصراركِ على الحب والعائلة وايمانك بأن لا سعادة في زواج بلا حب. وفي النهاية اقنعت بهذا كله.

حتى في هذه اللحظة كان يشعر بقشعريرة الخوف وهو يفكر باحتمال سقوطها. ولكن فرحه بحبها كان شيئاً مذهلاً. وتابع حديثه يقول:

- كنت اطلب حبك وأنت واعية بمعاطفي تلك.

- لكنك قلت ان ذلك كان لمصلحتك، وفعلاً كان.

- ربما لا تصدقين بعكبري. ولكني أصارحك باعترافي انني كنت خائفاً... خائفاً جداً... عندما تأكدت من أني احبك.

وبعد ان توقف قليلاً تابع حديثه ليشرح لها كيف طلب من نيقولاوس ان يرافقه الى بيروس وكيف حفظها ان يبقى نيقولاوس في الفندق حتى يصادفها.

- ولكن هذا يجنّني. لماذا لم تأت انت شخصياً.

- خشيت إن أنت رأيتني ان تهربي. وكنت ستركضين حتى نهاية رصيف الانطار. ومعنى هذا انه سيتوجب عليّ ان ابحث عنك من جديد. ولكني كنت واثقاً من أني سأجدك. أم أقل لك انني لن اتركك تذهبين وانك لي الآن؟

- نعم، قلت هذا.

- كانت هذه الوسيلة افضل. ان تأتي الى زوربي بدعوة من نيقولاوس.

- كان نيقولاوس مذعناً جداً. لم يبد عليه أي ارتياب.

- حذرته كي يكون حريصاً، ولم تكون عيننا كبيرة لو انك لم تأتي.

- برهن نيقولاوس بعمله هذا على انه كان مذنباً لك.

- كان متردداً في بداية الأمر. واشترط لقيام بهذه العملية ان يتأكد من حبك لي، وقال ان حبي لك لا يكفي. لا سيكون خائناً لك اذا اتى بك الى الزورق دون ان يتأكد من انك ترغبين في الرجوع. لأنه بذلك يكون قد حكم عليك بالسجن في بيتي... كما كنت تسمين ذلك في اكثر من مناسبة.

ضحك ليون عند هذه العبارة فضحكت تارا معه.

- فهمت الآن لماذا كانت اسئلته رقيقة. اراد التأكد من حبي لك قبل ان يدعوني الى زورقه!

- كان من المفروض ان يقول ان الزورق له، أليس كذلك؟

- أو بيا ليون. اني احب نيقولاوس لما قام به!

ـ ماذا قلت؟

فضحكت تارا من جديد:

ـ انت تفهم ما اقول. وأحبك انت ايضاً طبعاً.

ـ اشكر لك كلماتك اللطيفة! أعيدي هذه الكلمات بطريقة اكثر شاعرية بعد العشاء الفخم الذي بيّا لنا.

ـ قال ليفولاوس ان بحارته سيتدبرون هذا الأمر!

ـ كل هذا جزء من الخدعة. ونجحت الخدعة.

وضمها اليه برقة فاستجابت له بعفوية.

وسألته بلهفة:

ـ متى بدأت تشعر بأنك تحبني؟

ـ هذا سؤال من المستحيل الاجابة عليه.

نظر اليها بحبه السوداوين طويلاً ثم قال:

ـ لا ادري اذا كان حباً من النظرة الاولى. فما من امرأة احتذبتني كما احتذبتني انت في البداية فاستطعت ان تكوني لي!

هزت رأسها دهشة. لم يخطر لها في حينه ان يتساءل ما اذا كان ذلك حباً من النظرة الاولى.

ـ ظننت أنها كانت مجرد رغبة يا ليون.

ـ وهكذا ظننت انا ايضاً، ولكن...

هز رأسه قائلاً ان ذلك لا اهمية له الآن طالما انه يحبها.

ـ اتذكرين الآن كيف كنت تحبين غضبي عندما أقول لك ما أقول؟ وكنت اعرف حتى في تلك اللحظة ان لن اصادق اية امرأة اخرى في حياتي، وهذا ما يجعلني اعتقد بأني أحببتك منذ البداية.

ـ كنت لزماً من احياناً انك قد تقع في حبي. ولكنني وجدت بعد ذلك ان غلطة.

ـ من المؤسف ان لا أحد منا كان يتكلم عن احساساته الحقيقية، وكنت اعرف ان الحب يأتيك تدريجياً لانك فتاة لا تستسلم للرجل لمجرد المتعة.

تعانقا مجدداً ورأى كل منهما انه ما يزال هناك الكثير يتكلمان عنه. الا انهما فضلا البقاء صامتين يستمتعان بهدوء البحر من حولهما، وبالتفكير في الأيام القليلة الملبة بالحب على جزيرة هيدرا... واسمها الآخر جزيرة الهدوء.